

الف ليلة وليلة

حَسَنُ جَوْهَرٍ مُحَمَّدُ أَحْمَدُ بَرَّاقُ

أَمِينُ أَحْمَدُ الْعَطَّارُ

٦



الهيئة العامة لمكتبة الأسد، مكتبة	
رقم التسجيل	٢٣٤١٥
رقم التتبع	

الف ليلة وليلة

الجزء السادس

الأحباب والخياط

١٨/١٢

398.77

٩٦٩

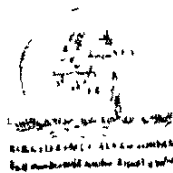
كتبه ٦/٦

محمد أحمد براق

حسن جوهير

أمين أحمد العطار

الطبعة الثانية



General Organization of the Alexandria Library (GOAL) دار المعارف

Bibliotheca Alexandrina

رسوم: الفنانة النمساوية ستيللا يونكرز

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

الجزء السادس

صفحة

- نعمة وجاريته نُعم ٥
 - نورالدين وأنيس الجليس ٤٧
 - الأحذب والخياط ٧٩
 - خليفة الصياد مع القروء ١١٦
 - التاجر والعفريت ١٥١
-



نِعْمَةٌ وَجَارِيَّتُهُ نِعْمٌ

(١)

ذكروا أنه كان بمدينة الكوفة رجلٌ من وجوه أهلها، يُقال له
الربيعُ بن حاتمٍ، وكانَ كثيرَ المالِ، مُرفهَ الحالِ؛ رَزَقَهُ اللهُ وَلَدًا
فَسَمَّاهُ؛ نِعْمَةَ اللهِ .

وبينما هو ذاتَ يومٍ في سوقِ النَّخَّاسِينَ، يجلسُ على دِكَّةٍ أُمَامَ
دُكَّانٍ — إذ رأى جَارِيَّةً تُعْرَضُ لِلْبَيْعِ، وَعَلَى يَدِهَا طِفْلَةٌ صَغِيرَةٌ
بَدِيعَةُ الْحُسْنِ، بَارِعَةُ الْجَمَالِ، فَأشارَ الرَّبِيعُ إِلَى النَّخَّاسِ، وَقَالَ لَهُ :

بكم هذه الجارية وابنتها؟

فقال : بخمسين دينارًا .

قال الربيعُ حرّره وثيقةَ البيع ، وخُذْ منها ، وأعطِهِ سيّدها .

ثم دفع الربيعُ للنخاسِ ثمنَ الجاريةِ ، وأعطاهُ أَجْرَ دِلالاتِهِ ، وتسلّمَ الجاريةَ وابنتها ، وعادَ إلى بيته .

رأتُ ابنةَ عمّةِ الجاريةِ ، فقالت له :

يا بنَ العمِّ ، ما هذه الجاريةُ ؟

قال لها : رأيْتُها في سوقِ النخّاسين ، فأعجبتني صغيرتها التي تحملُها ، فاشتريْتُها من أَجلِها ، واعلمِي يا بنةَ عمّي أنّ هذه الطفلةَ الصغيرةَ إذا كبرتْ واستدارتْ فلن تجدى بين بنات العرب والعجم من تشبهُها جمالًا وحُسْنًا .

فقالت له ابنةُ عمه : نَعَمْ ما فعلتَ .

ثم التفتتْ إلى الجاريةِ ، وقالت لها : ما اسمُكِ ؟

فقالت لها : يا سيدي اسمي توفيقُ .

قالت : وما اسمُ ابنتكِ ؟

أجابت : اسمُها سُمْدَى .

فقالت : سَعِدْتُ ، وَسَعِدَ من اشتراكِ .

ثم أدارت وجهها إلى ابنِ عمّها ، وقالت :

يا بنَ عمّي بماذا تسمّيها ؟

قال : أَسَمِّهَا الاسمَ الذى تَخْتَارِينَهُ أَنْتِ .

قالت : نَسَمِّهَا : نُعَمَ .

قال الربيعُ ، نَعَمَ ما فَكَّرْتِ ، وَنَعَمَ ما سَمَّيْتِ ، وَنَعَمَ مَنْ سَمَّيْتِ .

تَرَبَّتْ الصَّغِيرَةُ نُعَمُ مَعَ نَعْمَةَ بْنِ الرَّبِيعِ فِي مَهْدٍ وَاحِدٍ ، فَهُمَا يُطْعَمَانِ مَعًا ، وَيُلْعَبَانِ مَعًا ، وَيَنَامَانِ مَعًا ، وَيَنَادِي نَعْمَةُ الصَّغِيرَةَ ، يَا أُخْتِي ، وَتَنَادِي نُعَمُ الصَّغِيرَةُ : يَا أُخِي .

فَالَمَّا بَلَغَا مِنَ الْعُمُرِ عَشْرَ سَنِينَ ، وَكَانَ كُلُّهُمَا بِالْغَا مِنْ الْحَسَنِ وَالْجَمَالِ مَا بَلَغَ — قَالَ الرَّبِيعُ لِابْنِهِ : يَا وَلَدِي لَيْسَتْ نُعَمُ أُخْتُكَ ، وَإِنَّمَا هِيَ جَارِيَتُكَ ، وَقَدْ اشْتَرَيْتُهَا لَكَ وَأَنْتَ فِي الْمَهْدِ ، فَلَا تَنَادِيهَا : يَا أُخْتِي ، بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ .

قَالَ نَعْمَةُ لِأُخِيهِ ، وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ أُمَارَاتُ الْعَجَبِ وَالْأَلَمِ جَمِيعًا :
يَا أَبِي : إِنْ لَمْ تَكُنْ نَعَمُ أُخْتِي ، فَأَنَا لَا أَحِبُّ أَنْ تَكُونَ جَارِيَتِي ، وَلَا أَنْ تَكُونَ مَمْلُوكَةً لِي ، وَإِنَّمَا هِيَ رَفِيقَةُ مَهْدِي ، وَزَمِيلَةُ صِبَايَ ، وَمُشَارِكَتِي فِي طَعَامِي وَشَرَابِي ، وَلَهْوِي وَلَعْبِي ، ثُمَّ أَسْرَعَ إِلَى أُمِّهِ وَحَدَّثَهَا فِي شَأْنِ نُعَمَ ، وَأَبْدَى لَهَا رَغْبَتَهُ فِي أَنْ يَجْعَلَهَا زَوْجَةً لَهُ ، وَيُطْلِقَهَا مِنْ رِبْقَةِ الْعَبودية ، فَاسْتَمَهَلَتْهُ أُمُّهُ قَلِيلًا ، حَتَّى تَعْرِضَ عَلَى أُخِيهِ هَذَا الْأَمْرَ .
ثُمَّ لَمْ تَلْبِثِ الْأُمُّ أَنْ حَدَّثَتْ الْأَبَ حَدِيثَ ابْنِهَا ، وَكَانَ الْأَبُ رَجُلًا وَاسِعَ التَّفْكِيرِ ، فَقَالَ لَزَوْجَتِهِ :

إسها جاريتُه ، وقد اشتريتها أوّل ما اشتريتها له وباسمه فله أن يتصرف فيها كما يشاء ، وإذ قد رَغِبَ في أن يتخذها زوجةً له ، فلا حرج عليه . ولم تلبث الأمُّ أن أبلغته رأى أبيه فسرَّ له ، وذهب إليه وشكره ، وقبّل يده .

تروّج نعمة من نعم ، وعاشا في أرغد عيش ، وأهناً بال مده من الزمان ، وكانت نعمٌ قد برعت في الفنون والعلوم ، وقرأت القرآن ، وعرفت أنواع اللعب والآلات ، وحذقت الغناء ، وصار مجلسها مجلس معرفة وتسليّة وتفكّه وطرب ، فذاع صيتها ، وشاع ذكرها شيوعاً أعلن معارفها ونوادرها الدالة على فرط ذكائها ، وحضور بديتها ، ورجحان عقلها . وتحدّث الناس عن باهر حسنها ، ونادر جمالها . وصلت إلى الوالى أخبارُ نعم ، ووصف له جمالها ودلالها وعلمها وفضلها فقال :

إنّ من تحمل مثل هذه الصفات ، لا بد أن يكون مقامها في دار الخليفة ، والله لأحتالن حتى أنتزعها من سيدها انتزاعاً ، وإن كلفني ذلك أن أرتكب ظمماً ، ولم يتوان في تدبير حيلة للاستيلاء عليها ، وإرسالها إلى الخليفة الذى ما كان يكفُّ عن التقرب إليه والتودّد له ، وطاب الزمان عندى بما يظنُّ أنّه يرضيه عنه ، ويقرّ به منه .

فاستدعى إحدى قهرماناته ، وكانت عجوزاً داهيةً ، عرّكت كثيراً من أمثال هذه الأمور ، وخدمت سيدها فيها بمهارة وبراعة ، مما

جعلها موضع ثقته ، وأهلاً لسرّه ، فشرح لها الأمر ، وعرض عليها ما يُريد منها ، وختم كلامه لها قائلاً :

امضِ الآن إلى دار الربيع واخترى بها ، واعملِ حيلكِ البارعة المأكرة ، حتى تظفري بموافقتها على ترك سيدها ، فنبعث بها عروساً مجلوةً إلى خليفتنا بدمشق .

فقال العجوزُ وهي تبسمُ ، وتحاولُ أن تنصّبَ من قامتها الحذاء التي تنطوي على خُبثِ الثعالب ، ومُسمِّ الحيات :
اعتمد على ربك ، وثق أنى بفضلِهِ مُحَقَّقةٌ ما تُريد .

وأصبحت العجوزُ مُيَمَّةً إلى دارِ نعمة بن الربيع مؤتررة بثيابٍ خَشنة من الصوف وحول رقبتها مَسْبَحةٌ طويلةٌ ، حبَّاتها ألف حَبَّةٍ ، ويدها عكازٌ تتوكأ عليه ، ولسانها لا يكفُّ عن التسبيح وذكرِ الله خِداً ومكرّاً حتى وصلت إلى دار نعمة بن الربيع ، فطرقت الباب ، فخرج لها البوابُ ، واستفهمها عما تريدُ فقالت :

أنا فقيرةٌ عابدةٌ ، وأدركتني صلاة الظهر ، وأريد أن أصلي في هذا المكان المبارك .

فقال لها البواب :

يا عجوزُ ، إن هذه دارُ نعمة بن الربيع ، وليست بجامع ولا مَسْجِدٍ .



فقلت : أنا أعرف أنها ليست بجامع ولا مسجد ، وأنا قهرمانة
من قصر أمير المؤمنين خرجت للعبادة والسياسة .
فقال البواب : أنا لا أستطيع أن أسمح لك بالدخول .
وكثر بينهما الأخذ والرد ، وارتفع الجدل ، فتملقت به العجوز
وقالت :

هل يمنع مثلي من دخول دارِ نعمة بن الربيع ، وأنا التي لا يوصد
في وجهي باب أمير ولا كبير .
وزاد بينهما الكلام ، وعلا صوتها المرتعش المسموم ، فسمعه نعمة
فخرج إليهما فوجدهما يكادان يتشابكان ويتضاربان ، فضحك وأمرها
أن تتبعه .

فتبعته حتى دخل بها إلى نعمة ، فلما رأت العجوز نعم بهتت
وتعجبت من فرط جمالها ، وسلمت عليها وهي تقول لها :
يا سيدتي : أعندك بالله الذي آلف بينك وبين مولاك في الحسن
والجمال موصلي ؟ فأحضرتها ثم انتصبت العجوز عليها ، وعكفت على الصلاة
والركوع والسجود والدعاء إلى أن ولي النهار .

فقلت نعم للعجوز : يا أمي ألا تريحين قدميك ساعة ؟
فقلت العجوز : يا سيدتي من طلب الآخرة ، أتعب نفسه في
الدنيا ، ومن لم يتعب نفسه في الدنيا ، لم ينزل منازل الأبرار في
الآخرة .

فأحضرت لها نعم الطعام ، وقالت لها :
كُلِي من طعامي ، وادْعِي لي بالمَغْفَرَةِ والرحمة .

فَقَالَتِ العَجُوزُ : يَا ابْنَتِي إِنِّي صَائِمَةٌ ، وَلَمْ يَحِنْ مَوْعِدُ طَعَامِي بَعْدَ .
فَكُلِي أَنْتِ ، فَإِنَّكَ صَبِيَةٌ يَصِحُّ لَهَا الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ وَالطَّرْبُ وَاللَّهُ
تَوَّابٌ رَحِيمٌ .

ثُمَّ جَلَسَتِ العَجُوزُ إِلَى نَعْمٍ تَحْدِثُهَا بِمِثْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ ، وَتَسُوقُ
إِلَيْهَا الْحِكْمَ ، وَتَعْظُمُهَا بِالْمَوَاعِظِ ، حَتَّى سُرَّتْ نَعْمٌ مِنْ حَدِيثِهَا ،
وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهَا .

فَلَمَّا دَخَلَتْ إِلَى زَوْجِهَا قَالَتْ لَهُ :

وَاللَّهِ يَا نِعْمَةَ إِنْ هَذِهِ العَجُوزُ امْرَأَةٌ طَيِّبَةٌ ، وَأَرَى فِي وَجْهِهَا آيَاتِ
الْعِبَادَةِ وَمَظَاهِرِ الصَّلَاحِ فَلَنَدْعُهَا إِلَى الْإِقَامَةِ مَعَنَا بَعْضَ الْوَقْتِ .
فَقَالَ لَهَا :

أَخْلَى لَهَا مَكَانًا تَتَعَبَّدُ فِيهِ ، وَلَا تَدْعِي أَحَدًا يَدْخُلُ عَلَيْهَا ، فَلَعَلَّ اللَّهَ
سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْفَعُنَا بِبِرْكَتِهَا .

وَقَضَتِ العَجُوزُ لَيْلَتَهَا تَصَلِّي وَتَتَعَبَّدُ ، فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ أَتَتْ إِلَى
نِعْمَةَ وَنَعْمٌ وَحَيْثُمَا بِتَحِيَّةِ الصَّبَاحِ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهَا :
اسْتَوْدَعْتُكَمَا اللَّهَ .

فَقَالَتْ لَهَا نَعْمَ : إِلَى أَيْنَ تَمْضِينَ يَا أُمِّي وَقَدْ أَخْلَيْنَا لَكَ مَكَانًا
تَعْتَكِفِينَ فِيهِ لِلصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ ؟

فقلت : أدام الله عزكم ومعروفكم ، فإن من عادتي أن أطوف على المساجد والأماكن الطاهرة ، وسوف أعود إليكما إن شاء الله قريباً ، فوصياً البواب أن يكرمني ، وألا يحول بيني وبين الدخول إليكما حينما أشاء ، فوعدها ذلك ، وطلبا إليها أن تدعولهما في كل مكان طاهر تعبداً لله فيه . ثم سلمت عليهما . وانصرفت إلى سيدها الوالي ، فلما رآها بادرها بالسؤال :

ما وراءك ؟

فقلت : لقد احتلت حتى دخلت منزليها ونلت ثقتها ، وقد رأيتهما لم يؤلداً على وجه الأرض أجمل منها .
قال : إن استطعت أن تصلي إلى ما أريد ، فسوف يصل إليك مني خيرٌ جليلٌ .

قالت : إني أريد منك أن تمهني شهراً .

أجاب : لقد أمهلتك شهراً .

وما زالت المعجزة تتردد على دارِ نعم ونعمة ، وهما يُرحبان بها ، ويبالغان في إكرامها حتى اختلت المعجزة يوماً بنعم ، وقالت لها :
يا ابنتي : إني عند ما أكون في الأماكن الطاهرة أدعو الله لك وأتمنى أن تكوني معي فتشاهدي الأماكن الشريفة ، وتزوري أولياء الله الصالحين ، وتطوفي معي على الفقراء والبائسين .
فقلت نعم : والله لوددت أن أكون معك ، فقد ملأت قلبي إيماناً

بحديثك ، وشوقتي إلى رؤية المساجد والصلاة فيها .
 فقالت العجوز : قومي بنا في هذه الساعة ، فإنني قاصدة الآن إلى
 مسجد مبارك .

إنني لا أستطيع أن أخرج من غير أن يأذن لي سيدي .
 قالت العجوز : أسألي حماتك في ذلك واستأذنيها أن تسمح لك
 بالخروج معي ، فإنني لا أشك في أنها ستقبل راضية أن تخرجي معي على
 أن أعود بك في الحفظ والصون .

فذهبت نهم إلى حماتها ، وسألتها أن تأذن لها بالخروج مع العجوز
 إلى المسجد الطاهر لتصلي معها فيه ، وتدعو الله لها ولأسرتها بالخير .
 وكانت العجوز في صحبتها .

فقالت أم نعمة :

أخشى أن يغضب زوجك إذا أنت خرجت من المنزل من غير أن
 يأذن لك ، وأنا أعرف منزلة العجوز عنده واحترامه إياها ، وثقته بتقواها
 وإيمانه بصلاحها ، ولكن هذا شيء ، وخروجك من المنزل في غيبته
 وبدون إذنه شيء آخر ، ففالت العجوز :

إنني لن أغيب بها ، ولن أبطئ ، بل سأعودُ بها سريماً قبل أن
 يعودَ زوجها وسيدُها ، فإذا شئت ألا أعلميه أنها خرجت معي فلا
 عليك ، وإذا شئت أن تخبريه فأنا أؤكدُ لك أن هذا لن يُغضبهُ ، وأنت
 تعلمين منزلي عنده .

فسكتت أم نعمة ، وخرجت بالصمت عن لا ونعم ، وكان ظاهراً
في عيني نعم أنها تُرحَّبُ بالخروج مع العجوز ، فاتخذت من صمت
سيِّدتها دليلاً على الرضا ؛ وأسرعت إلى ملابسها ولبستها ، وخرجت
مع العجوز .

وهكذا أخرجت العجوز الماكرة الداهية الفتاة من دار سيِّدها
بالحيلة ، وسارت بها إلى قصر الوالى الظالم العاتى ؛ فأجلستها فى إحدى
مقاصير هـ ، وذهبت إلى الوالى وأعلمته ما فعلت

فجاء الوالى إلى المقصورة مُسرِعاً ، ونظر إلى نعم من بعيدٍ فرآه
جمالها ، وبهاؤها ورؤاؤها ؛ وهاله ذلك القَدُّ المشوق ، والقوامُ المعتدلُ
والوجهُ الأبيضُ ، والحدُّ المورَّدُ ، والعينُ السَّكَّاءُ ، وفوقَ ذلك كله
الروحُ الخفيفُ ، والجازبيةُ العجيبةُ .

فاستدعى حاجبه ، وأسرَّ إليه أن يُعدَّ فى الحالِ هَجِينًا لَجاريةٍ غالية
يُوَدُّ إرسالها إلى الخليفةِ بِدمشقَ ، ويأتيه بِرَدِّه .

ثم دخل المقصورة التى بها نعم ، فلما رآته سترت وجهها بِنقابها ،
وهى تتعجَّبُ من ترك العجوز لها فى هذا المكان ، وتتساءلُ عن سرِّ
اختفائها ، وبدأت الوسائسُ والشُّكوكُ تُساوِرُها ، وأخذت تنظرُ هُنا
وهناك لعلها تجدُ العجوزَ فلم ترها .

ولم تمضِ إلا بُرْهةً حتى أتى الحاجبُ ، وأعلن أنه على أهبةٍ

الاستعداد ، فأمره أن يذهبَ بها إلى الخليفة ، فأخذها الرجلُ ، وأركبها الهجين ، وهي تبكي وتقاومُ دونَ أن تجد رحمةً أو غوثاً .

وسافر الهجينُ بنعم مصحوباً بالحرس ، يقطع الفيافي ، ويجتاز القفار ، يصعدُ الأنجاد ، ويهبط الوهاد ، يعتلي ربوةً ، ويمرُّ سهلاً ، حتى دخل دمشق الفيحاء وهي مقرُّ الخليفة في ذلك الحين .

فلما مثل الحاجبُ بين يدي الخليفة أعطاه الكتاب الذي بعث به إليه الوالي وأخبره بحضور الجارية . فأمر الخليفة بإفراد مقصورة لها ، ودخل إلى نسائه وجواريه وقال لهن :

لقد اشتري لي والى الكوفة جاريةً من بنات الملوك بعشرة آلاف دينار ، وأرسلها إليَّ ومعها كتابٌ يعرفني فيه بذلك ، فأكرمها واعتنن بها .

فقمن : سمعاً وطاعة ، زادك الله من فضله .

وتوجَّهت أخت الخليفة إلى مقصورة ناعم ، لترى جارية أخيها الجديدة وتنظر ما يناسبها من لباسٍ وحُلَى .

فلما رأتها بهرها جمالها وشبابها رغم ما قلستهُ ناعم من الشدة والحزن والمشايق ، فقالت لها :

لا يشقى من حلَّ في هذا المنزل .

فقلت ناعم : يا سيدتي قصرٌ من هذا ؟ وأي مدينةٍ هذه ؟

فأجابت مندهشة لسؤال ناعم : هذه مدينة دمشق ! وهذا قصرُ

أخى أمير المؤمنين ! أما علمت هذا من قبل ؟ !

أجابت نعم : يا سيدتى لا علم لى بهذا .

والذى باعك وقبض ثمنك ؛ أما أعلمك أن الخليفة قد اشتراك ؟ !
فلما سمعت نعم هذا الكلام تبلّجت الحقيقة المرة أمام عينيها ، وعرفت
الحيلة التى انطلت عليها ، وانحدرت الدموع على خديها ؛ ولم تأمل فى
رجاء يأتيها إذا ما شرحت لها حالها ، ففضّلت السكوت على الكلام ،
وأطرقت إلى الأرض ، فلما رأتها أخت الخليفة على هذه الحال ظننت أنها
مستوحشة وتركتها ، ومضت إلى وقت آخر .

وفى اليوم التالى أحضرت لها الثياب المزركشة والقلائد والجواهر
وألبستها وجمّلتها ونعم بين يديها صامته ساحمة مطرقة ، وبين كل لحظة
واللحظة تتأوه آهة تحسّ سيدتها أن نياط قلبها قد تمزّق ، ثم تفرّز فرّة
يكاد حرّها يشوى ما يلمسه ، وتحاول أن تكفّف كف من عينيها دمعاً غزيراً
فلا تقدر .

يحدث هذا كله ، وسيدتها لم تقدّر إلا أنها مستوحشة ، واستمرت
فى تزيينها وجلّوها حتى فرغت من ذلك ؛ ثم دعت الخليفة للدخول إليها ،
وهى تقول له :

أنظر إلى جاريتك التى أفرغها الله فى قالب من الجمال والحسن ،
فقال الخليفة لنعم :

اكشفى القناع عن وجهك يا فتاتى ، وكانت قد سترته عند دخوله ،

فلم تكشف قناعاتها، وظلّت مطرقةً . فقال الخليفة لأخته . دعيها تستأنس بك ثم تركها وانصرف .

وكان لما عاتته نُعم من غم وحُزنٍ ومَشَقَّةٍ أثرٌ سيِّئٌ على نفسها وصحتها فما أتى مساء هذا اليوم حتى كانت فريسةً للمرض ، تمضُّها وطأة الحمى ونُقلَ خبرُ مرضها إلى الخليفة ، فاستدعى لها أُمهرَ الأطباء ، فبدلوا جهدهم معها ، حتى أبعدوا عنها شبحَ الموت ، ولكنهم أخفقوا في شفائها ، فقد ظلّت مع اهتمامهم بأمرها ، وعنايتهم بها مريضةً عليلّةً .

(٢)

أما ما كان من أمر نعمة ، فإنه لما عادَ إلى منزله ، ولم تستقبله نُعم كعادتها — نادى : يا نُعم .

فأما لم تلبّ النداء ، ظنّ أنها في بعضِ أمرها ؛ ودخلَ إلى حجرتها ، فأما استبطأها كرّر النداء ، فلم يجبه أحدٌ ، فتعجّب لذلك ، وخرجَ ينادى يا نُعم ، ولما لم تجبه نادى الجوارى ليستفهم عنها ؛ ولكنّ جميعَ الجوارى كنّ قد اختبأن واختفين حتى لا تقعَ عينُهُ عليهنّ ، ولم تستطع واحدةٌ منهنّ أن تجابهه بخروج سيدتهن ، وغياها ، فزادت دهشة نعمة ، واشتد عجبه من هذا الأمر المُبهم . فذهبَ إلى حُجرة أمّه ، فوجدها جالسةً حزينة ، ويدُّها على خدِّها ، فقال لها : يا أمّي ؟ أين نُعم ؟ وماذا دهي أهلَ المنزل ؟ ! قالت : يا ولدى ؛ نُعم مع مَنْ هِيَ أخوفُ مني عليها ؛ وهى المعجوزُ الصالحةُ . فقد خرجت معها لتحسن إلى الفقراء ، وتعود المرضى ،

وتُصَلِّيَ في المسجد الطاهر ، وتدعوك لك ولها ، وقد تدعوك لي أنا كذلك .
فقال : ما كان لها بذلك عادةً ! وفي أيّ وقتٍ خرجت ؟

قالت : خرجت مُبكرةَ النهار .

قال : وكيف أذِنتِ لها ؟

فأجابت : يا ولدي ؛ هي التي أشارتُ علىّ بذلك ، فقد أغرّتها
المعجوزُ ، واستمالتها ، فأَيَّنتُ عليها ، واستشارتني فلم أُشر ، وتردّدتُ في
الأمر ، وأنكرتُ عليها أن تخرج ؛ ولكن إلحاحَ المعجوز ، ووُثوقك
فيها ، واطمئنأناك إليها — جعلها تذهب معها ، نسألُ اللهَ لها السلامة .
ولما مرّ الوقتُ على نعمة وهو ينتظرها ، ولم تعد — عرف أن في
الأمر حيلة ، وأن هناك تدييراً محكماً لاغتصابُ نعم ، وأن شراكاً نصبت
لاختطافها ؛ ولم يلبث أن نهض وذهبَ من فوره إلى صاحب الشرطة ،
وقصَّ عليه القصةَ ؛ فقال له صاحبُ الشرطة :

صف لي المعجوز التي خرجتُ معها زوجتك فوصفها له . فعرفَ
صاحبُ الشرطة أنها عجوزُ الوالي .

فقال لنعمة : دُلّني على مكانها ، وأنا أخلصُ لك زوجتك منها .

فقال لنعمة : لو كنتُ أعرفُ أنا مكانها لما لجأتُ إليك .

فقال صاحبُ الشرطة وهو يحاولُ إظهارَ الأسف : وما يعلمُ الغيبَ
إلا اللهُ سبحانه وتعالى .

فاغتاز نعمة منه ، لمحاولته التخلص من أداء واجب هو في الواقع

من عمله ؛ وقال له محتدًا ؛ وأنا لا أعرف زوجتي إلا منك ، ولا يداني على مكانها إلا أنت ؛ وبينى وبينك الوالى ، وهو رجلٌ قاسٍ فى الحق ، صارمٌ عادل .

فتبسّم صاحبُ الشرطة غيرَ مبالٍ بغضبه وحدّته ، ولا مكترثٍ بتهديده ووعيده ، لأنه فهم السّرّ ، ثم قال :

اذهبْ إلى من شئتَ ، واشكُ إلى من أردتَ .

ذهبَ نعمة من فوره إلى قصر الوالى ، وبعث مع الحاجب شكايته ، ليرفعها إليه .

ولما كان والدُ نعمة من وجهاء الكوفة وسراتها — لم يتوان الوالى فى استدعائه إليه وسؤاله عن قضيته .

دخلَ نعمة على الوالى فاستقبله باسمًا ، وردّ عليه التحية ردًّا جميلًا ، ثم سأله : ما شأنك .

فقصّ عليه قصة زوجته نُعمَ والعجوز ، فأمر الوالى باستدعاء صاحب الشرطة ؛ فلما حضرَ قال له ، وهو يعرفُ أنه يعرفُ العجوز : أريد أن تبحت عن زوجة نعمة بن الربيع ، وأن تبذل ما تستطيعه فى هذه المسألة التى لا ينبغي السكوت عليها منّا .

قال صاحب الشرطة :

لا يعلم الغيبَ إلا الله .

قال الوالى : لا بد أن تبعت رجالك على ظهور الخيل تبحت فى

الطرقات ، وُتَنَقَّبَ في البلدان ، وأن تبثَّ عيونك هنا وهناك ، يتسقطون الأخبار ، ومن الضروري أن تعرف مصيرَ هذه الزوجة .

ثم قال لنعمة : وإن لم ترجع إليك زوجتك فلك من دارى عشرُ جوارٍ ، ومن دار صاحب الشرطة مثلهنَّ والتفت إلى صاحب الشرطة ، وقال له :

اخرج من فوركَ في طلب الزوجة .

فقال : سمعاً وطاعة .

وانصرف .

وعاد نعمةُ إلى داره حزينا مكتئبا ، يائسا ، قانطاً ؛ فأتاه والده ،

وقال له :

يا ولدى لا تيأس ولا تقنط ، فن ساعة إلى ساعة يأتي الله بالفرج .

وتذاءبت الهمومُ على نعمة ، فساءت حاله ، وأظلمت الدنيا في عينيه

فلم يهنأ له طعامٌ ولا شرابٌ ، ولم يطب له رُقَاد ، ونفرَ من الناس نفوراً

شديداً ، فلزم غرفته ، وآثر الوحدةَ والانفراد ؛ وظلَّ على تلك الحال زمناً

طويلاً ، لا يعرفُ أحداً ، ولا يخاطبُ أحداً ، ولا يأنسُ إلى أحد ؛

وركبتِه الأمراض ، وعادَهُ أمهرُ الأطباء ووصفوا له أنجمع الدواء ، فلم يبرأ

من مرضه ، ولم تخف عنه علته ، وأخيراً وصل إلى سمع والده البائسِ

الحزينِ نبأ وجودِ طبيبٍ أعجميٍّ ، عرف بإتقان الطبِّ ، والتنجيمِ ،

وضرب الرمل ، فبعث في طلبه .



فلما حضر الطبيبُ المنجِّمُ ، ودخل عندَ نعمةَ ، تفرَّسَ في وجهه مُبرهنةً ، ثمَّ جسَّ نبضه ، وتَحَسَّسَ مفاصله . وما ابثَّ أنَ نظر إلى والدِ المحزونِ وهو يضحك ، ويقول :

ليس بولدك غيرُ مرضٍ في قلبه ، مرض في عواطفه ووجدانه ، مرض لا تنفع فيه العقاقير ، ولا تُبرئه منه الأدويةُ .

فقال الوالد : صدقت يا حكيم ، فانظر في شأنِ ولدي فلعلك تستطيع أن تشفى رُوحه .

فقال الأعجميُّ : إنه مريضٌ بسببِ فراقِ زوجته ، وهذه الزوجةُ في البصرة ، أو في دمشق أو في غيرها من المدن الأخرى ، وما دواء ولدك غيرُ رؤيتها .

فقال الربيع : إن جمعتَ بينهما فلك عندى ما يسرك .

فقال الأعجميُّ : سيكونُ ذلك أمرًا سهلًا إن شاء الله ، فهو على هين .

ثم التفتَ إلى نعمة وقال له : لا بأسَ عليك ، اشددْ حولك وقوَ قلبك ، وطبْ نفسك ، وقرَّ عينًا ، فإننا بإذن الله سنشدُّ رحالنا إلى بعض البلاد في مثل هذا اليوم من الأسبوع المقبل ، وإن نعودَ إلَّا بزوجتك ، وأودُّ أن تنتعش ، وتأكل ، لتستردَّ عافيتك ، وتقوى جسمك على تحمُّل مشقَّات السفر .

فلما سمع نعمة ذكر زوجته ، واحتمالَ لقاءها — رفع رأسه ثم تحامل

على نفسه ، حتى استوى جالساً ، وأخذ يتمم بكلام كثير ، فهم منه أنه يسأل الله أن يحقق رغبته ، ويستجيب للطبيب أمنيته ، وتغيرت حالته المعنوية ، وبدأ ينتعش بعض الانتعاش ، وأخذت الحياة تدب في أوصاله ، فوالاه والده بالطعام والشراب ، مدة الأسبوع الذي حدده الأعجمي ليبدأ بعده السفر بصحبته ، فاسترد عافيته وقوته .

(٣)

أما الأعجمي فقد قضى هذا الأسبوع في الاستعداد للسفر والتأهب له وإعداد ما يحتاج إليه من آلات وغيرها ، ووالد نعمة لا يرضى عليه بمال حتى بلغ ما أمده به عشرة آلاف دينار أو يزيد .

وفي اليوم الموعود جاء الطبيب الأعجمي ، وأعد له الركب فودع نعمة والديه ، وهما يدعوان له بالدعوات الصالحة ويتمنيان له تحقيق أمله ، وبلوغ مراده . ثم صحب الأعجمي وشدة الرحال ، وقصداً أولاً إلى حلب فأقام فيها أسابيع يتسقطون الأخبار ، ويتجسسون ، ويتجسسسون ، وينفشون أسواق الرقيق ؛ ولكنهما لم يقفا على خبر للزوجة نعم ، فاستأنفا السفر حتى أتيا مدينة دمشق .

واتخذ الأعجمي دكاناً في مكان ظاهر بسوق المدينة ، ولم يأل جهداً في إعداداته ، وترتيبه ، وتنسيقه بالستائر المزركشة ، والتحف النادرة ، والقاشاني الثمين ، الذي تمتق ببراعة تلفت الأنظار ، فوق أرفف مؤهت بماء الذهب ، وصف على موائد مستطيلة صنوفاً كثيرة من زجاجات الأدوية

وقنّينات الأذهنة ، بجانبها أوانٍ ، وأقداح من البلّور اللامع البراق ،
الذى يأخذ العين ، ويخلبُ اللبّ ، ثم اتخذ له مجلساً في صدر الدكان ،
ووضع أمامه الثحف والاصطرلاب ، وارتدى ملابس أهل الطب
والحكمة ، فكان الناظرُ إلى هذا الدكان يرى صيدلية من أجل
الصيدليات ، وقد حوت أدويةً يخيلُ للناظر إليها من قريب أن نعمة
الشفاء من كلّ داءٍ تتطلع إليه من بين الزجاجات ، ومن خلال الحقائق ،
ومن ثنايا العُلب ، ومن بين الأرفف .

أما نعمةٌ فقد أوقفهُ بجانبه ، وألبسهُ ملابس ثمينة من الحرير
المزركش بخيوط الذهب . وقال له :

يا نعمة ؛ أنتَ من اليوم ولدى ، فلا تدعُنِي إلّا بأبيك ؛ وأنا
لا أدعوك إلّا بولدى .

فقال نعمة : سمعاً وطاعة .

واجتمع أهل دمشق يتفرّجون على دكان هذا الطبيب الجديد ،
ويشاهدون ما به من الأشياء الجميلة . ولكن لا تلبثُ عيونهم أن تتحوّل
إلى نعمة يملئون منه أنظارهم لفرط جاذبيته وجماله والأعجمي يُخاطبُ
نعمة بالفارسية ، ونعمة يكلمه كذلك بها ؛ فقد كان يعرفها ، كعظم أولاد
الأعيان والوجهاء .

وشاع صيت الأعجمي ، وزاعتْ شهرته في التطيب ، والتنجيم ،
ومعرفة العلل والخفايا ، وقصده الناسُ من كلّ حدب وصوب : من

دمشق وغيرها من البلاد القريبة والبعيدة ، يمرضون عليه أنفسهم ، ويشكون حالهم ، ويشرحون ما بهم من أمراض وعلل ، ويتوسلون إليه أن يفحص ما بهم من أدواء فيهش في وجوهم ويبدش لهم ، ويجاملهم ، ويلطفهم ، ويتقدم إليهم في رفق ، وعطف وحنان ويستمع إليهم ، ويُطيلُ باله عليهم ، ويجسُّ النبض ، ويبحث عن موضع العلة ؛ حتى يهتدى إليه ، فيصف الدواء الناجع ، السريع الأثر في إزالة المرض ، والقضاء عليه .

وكان ذلك كله سبباً في إقبال الناس عليه ، وتودُّدهم إليه ، يطلبون الحياة عنده ، وهو لا يفتأ يعاملهم أجمل معاملة ؛ ويلطفهم أرق ملاطفة ؛ لا يفرق بين كبير وصغير ، وغني وفقير ، فالكل أمامه سواء ، وقد يكون أكثر عطفاً على الفقير ، وأشدَّ رحمة به ، فيجامله بالآ يتقاضى أجراً ، وقد يصرف له الدواء ، من غير أن يتقاضى له ثمنًا ، فينصرف عنه وهو يدعو له بالخير والبركة ، ودوام الصحة والعافية .

لذلك كله أحبه الناس حباً شديداً ، فهو الذي يتفضل عليهم ، ويمنحهم من علمه وفنه وصيدليته صحة وعافية ؛ وصاروا يترددون عليه ، حتى الأصحاء منهم لمجرد التسليم والتحية والزيارة

وبينا كان الطبيب جالساً ذات يوم على عادته في صدر الدكان وبجانبه نعمة ، إذ أقبلت عليه عجوزٌ تركبُ حماراً ، وأشارت إلى الطبيب فأسرع إليها ، وأخذ بيدها ، وترفقَ بها ، حتى أنزلها من فوق الحمار ،

وتوَكَّأت على كتفه ، حتى أجلسها على دكة بجانبه ، وابتسم لها ، ورحَّبَ بها ؛ فقالت في صوتٍ متهدِّجٍ :

أأنت الطبيبُ الأعجميُّ الذي وفد علينا من العراق ؟
قال : نعمُ يا سيدتي ، أنا الطبيبُ الأعجميُّ الذي وفد عليكم من العراق ، فأكرمتُم وفادته في هذا البلد الطيِّب .
قالت :

اعلم أنَّ لي بنتاً مريضة ، وأودُّ أن تعرفَ لي علتها ، وتداويها ، ثم أخرجت له قارورةً بها بول المريضة ، لعله إن فحص عنه عرف علتها ودواءها .

فأخذها الأعجميُّ ، ونظر فيها ، ثم قال :
عرِّفيني يا سيدتي اسم ابنتك ، حتى أحسب نجمها ، وأعرف ما تتحمله من دواء ، فإن الجرعات التي نصفها يجب أن تلائمَ طبع المريض ومزاجه ، ومعرفةُ طبع المريض ومزاجه متوقفةٌ على مدى اتِّصاله بالنجوم والأبراج .

فقالت المعجوز : يا أبا الفُرس ؛ اسمُها مُنعم .
فأخذ يحسب ، ويكتب ، ويخطِّ ، ثم قال :
عرِّفيني أيضاً سنَّها ، والأرضَ التي وُلدت وتربَّت فيها ، لاختلاف الهواء .

فعرِّفته سنَّها ، وأن ولادتها ورباها أرض الكوفة بالعراق .

فقال : وكم شهراً قضت في هذه الديار .
قالت شهوراً قليلة .

قال : سُنْعِدُّ لَكَ ما يوافقها من دواء .

وكان نعمةُ في ذلك الوقت يقف بجوار الطبيب ، وقلبه يخفق خفقاناً
عنيفاً ، حتى لتكاد تسمعُ خفقانه ، فقد سمع اسمَ نَعم ، وأدرك ، بل أيقنَ
أنها هي المريضة ، ونظرَ الطبيبُ إليه نظرةً فهم مغزاها ، وقال له :
أعدّ لها من العقاقيرِ كذا وكذا .

وشرعَ نعمةُ في إعدادِ العقاقيرِ ، والمجوزُ تنظرُ إليه ، وهي تتمجب
من جماله الذي يشبه جمالَ نَعم المريضة . ثم قالت للحكيم الأعجميَّ :
يا أبا الفرس ؛ أهذا مملوكٌ أم ولدٌ ؟ !

فقال : يا سيدتي ، إنه ولدي .

وكان نعمةُ قد فرغ من إعدادِ الدواء ، ودسَّ في داخلِ العلبةِ ورقةً
كتب عليها بخط أهل الكوفةِ كلاماً إذا قرأتهُ نَعم عرفتُهُ ، وعرفتُ
أن سيدها نعمة يعمل عند الطبيبِ الأعجميِّ ، وأنه ما زال قلبه على عهده
يذكرها ولا ينساها ، وزاد أن كتب على غطاءِ العلبةِ بالكوفيِّ أيضاً :
أنا نعمةُ بن الربيع الكوفيِّ . ثم أعطى العجوزَ العلبةَ وتركتهُ له عشرةَ
دنانير ، وانصرفت .

عادت العجوز إلى قصر الخليفة ، وذهبت من فورها إلى مقصورة
نَعم ، فقد كانت إحدى المكافات بها ، وقالت لها :

يا ابنتي ؛ لقد قصدت اليوم إلى طبيب أعجمي ، ما رأيت أحداً أبصر ولا أعرف بالأمراض منه . فلما ذكرت له اسمك ، ونظر إلى القارورة عرف مرضك ، ووصف دواءك ؛ وأمر ولده فأعد لك هذا الدواء .
ثم ناولتها العلبة ، وهي لا تزال تتكلم ، وتصف لنعم جمال
نعمة قائلة :

وما رأيت يا ابنتي في دمشق ولا في غيرها أجمل ولا أظرف ولا أرقّ شمائل من هذا الشاب الذي يعمل في دكان الطبيب .
وكانت نعم تسمع لكلام العجوز ، غير مُلقية بياها إليها ، وييدها
علبة الدواء التي أعطتها إياها ، فوقع نظرها عفواً على اسم زوجها ،
واسم أبيه ؛ فارتجفت وخفق قلبها ، وعلمت أن زوجها قد حضر في
أثرها يبحث عنها ؛ فالتفتت إلى العجوز وهي لا تستطيع إخفاء
لهفتها ، وقالت :

صفي لي هذا الشاب .
قالت : اسمه نعمة ، وعلى حاجبه الأيمن أثر ، وهو جميلٌ وجذاب ،
ويرتدى ملابس فاخرة .

فقالت نعم : أعطيني من الدواء على بركة الله .
ثم شربت الدواء وهي تبسم وتقول : إنه دواء مبارك بإذن الله .
ثم أخذت العلبة ، وعادت تتأملها ، وتقرأ اسم حبيبها وزوجها نعمة ،
وكما أنعمت النظر فيه سرى في جسمها نسيم الشفاء ، ودبّ ديب الأمل

والرجاء ، وسَرَى في أوصالها الانتماش والسرور ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة « حلوة » جميلة ، وهوم طائرُ السعادة أمام عينيها .

ثم فتحت العلبة تُقَلِّب ما بها ، وتلمس الدواء الذي أعدّه سيدها وزوجها ، فعثرت بالورقة التي بها ، فقرأتها ، فزادت نفسها اطمئناناً ، وأحسّت النسيم روحاً وريحاناً ، وتحققت قرب الفرج ولاحظت المعجوز ابتهاجها ونور وجهها ، فقالت .

يا ابنتي ؛ إنك اليوم أحسن حالاً ، فهو حقاً يوم مبارك .

فقالت نعم :

نعم ؛ إنني أشعر الآن بتحسُّن كبير ، وأحسُّ أني جائعة وأريد شيئاً آكله أو أشربه .

فنهضت المعجوز مسرعةً إلى الجوارى ، وقالت لهن :

أسرعن ، وقدمن الأطعمة الفاخرة لسيدتكُنَّ نعم ، فقد اشتهمت نفسُها الطعام ، فأسرعن يُلبِّين الأمر .

وبينا نُم جالسةٌ تأكلُ ، وأمامها مائدة حافلة بأشهى المأكولات وأنخر الأطعمة ؛ إذ دخل عليها الخليفة لينظر حالها ، فلما رآها تأكل بشهية ، ورأى بريق الصحة يلمع في عينيها سرَّ كثيراً ، فقالت له المعجوز القهرمانية :

يا أمير المؤمنين ؛ اهنأ بعافية جاريتك نُم ، فقد وصل إلى المدينة طبيب ما رأيته أعرف منه بالأمراض وعلاجها ، فأتيت لها منه بدواء ؛

ما كادت تأخذ منه مرة واحدة ؛ حتى شعرت بديب العافية ، وبوادر الصحة ، فقال الخليفة :

إليه لشيء مدهش حقاً نخذى ألف دينار وتوجهي بها إلى هذا الطبيب ، وانقديه إياها جزاء له على ما فعل من معجزة .
فقالت المعجوز : سمعاً وطاعة .

وقصدت المعجوز إلى دكان الأعجمي ومعها النقود وورقة كتبتها نعم وطابت منها أن تُعطى الطبيب إياها ، فهي تشكره فيها على حسن صنيعه فلما وصلت وأعلمته أن الجارية التي كانت مريضة جارية الخليفة ، وأن هذه النقود هبة من الخليفة له ، وأخذ الطبيب النقود والورقة ، فعرف أن الورقة من نعم ، فأعطاها لنعمة : فما إن أخذها هذا وفتحها ووقعت عيناه على خط نعم ، وعلى الكلمات التي خطتها ، تبين لها حالها ومآلها ، حتى انتفض انتفاضة عجيبة ؛ ثم سقط مغشياً عليه ، فأسرع الطبيب إليه وعمل على إسمافه وإفاقته .

وكانت المعجوز قد تملكها الدهشة والخيرة لما حلّ بالفتى ، وأخذت تنظر إليه وهي حزينة عليه رائية له أسفة لحاله ، فقد شعرت نحوه بمحبة وحنان ، ونزل من قلبها منزلة الولد . فلما أفاق قالت له :

ما الذي يبكيك يا ولدي ؟ ! لا أبكي الله لك عيناً .

فقال الأعجمي :

ياسيدتي ، كيف لا يبكي وهذه الجارية المريضة زوجته ، وهو

زوجها نعمة بن الربيع . وما عافيتها إلا مرهونة برؤيته ، وليس بها علة^١
إلا بُعدها عنه مع محبتها له . نخذى أنت يا سيدتى هذه الدنانير التى
أحضرتها إلى ولك عندى أكثر منها ، إذا أنت نظرت لنا بعين الرحمة
وعملت على مساعدتنا فى الجمع بين الزوجين المتحايين المتوادين ، اللذين
فرَّق بينهما مكر الماكرين وخِداع الخادعين . فنظرت المعجوز بعطف
إلى نعمة وقالت له :

هل أنت زوجها ؟

قال . نعم

قالت : صدقت ، فهى لا تفتُرُ عن ذكرك فى صحوها ومنامها ،
فإذا نطقت فأنت أول منطقها ، وإذا سكنت فأنت فى قلبها ، وإذا نامت
فأنت لذيذ أحلامها فقصَّ عليها نعمة قصته وقصتها ، وعرفَّها ما قاساه
من مرضٍ ، ولقاءه من تعبٍ ومشقة .

فقالت : يا فتى ، إن اجتماعك بها سيكون إن شاء الله على يدي .
وركبت لساعتها ، وعادت إلى قصر الخليفة ، ودخلت على نُعم ،
ونظرت إلى وجهها وهى تبشُّ وتضحك .
وقالت لهما :

يحقّ لك يا ابنتى أن تبكى وتمرضى من أجل فراق سيدك وزوجك
نعمة بن الربيع الكوفى .

قالت نُعم : لقد انكشف لك الغطاء وعرفت السبب .

فَقَالَتِ الْعَجُوزُ : طَيِّبِي نَفْسًا ، وَانْشَرَحِي صَدْرًا ، وَاهْنُئِي عَيْشًا ،
فَوَاللَّهِ لَا جَمْعَ مَنْ يَنْسِكُمَا وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ ذَهَابُ رُوحِي .
ثُمَّ عَادَتْ مِنْ فُورِهَا إِلَى نِعْمَةٍ ، وَأَعْلَمَتْهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَعْمٍ ،
وَقَالَتْ لَهُ : إِنْ زَوْجَتِكَ عِنْدَهَا مِنَ الشَّوْقِ لَكَ أَكْثَرُ مِمَّا عِنْدَكَ لَهَا .
فَإِنْ كَانَ لَكَ جَنَانٌ ثَابِتٌ وَقَلْبٌ قَوِيٌّ — فَأَنَا أَخَاطِرُ بِنَفْسِي ، وَأَدَبَرُ
حِيلَةً ، وَأَعْمَلُ عَلَى لِقَائِكُمَا . وَذَلِكَ بِأَنْ أَلْبَسَكَ ثِيَابَ الْجَوَارِي وَأَدْخِلَكَ
قَصْرَ الْخَلِيفَةِ عَلَى أَنْتَ جَارِيَةٍ ، فَإِنْ نَعِمَ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْرِجَ بِهَا الْآنَ .
فَوَافَقَهَا نِعْمَةً عَلَى رَأْيِهَا . فَوَدَّعَتْهُ وَانْصَرَفَتْ عَلَى أَنْ تَأْتِيَهُ لَتَنْفِيزِ
ذَلِكَ فِي الْغَدِ .

(٤)

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي حَضَرَتِ الْعَجُوزُ إِلَى دُكَّانِ الطَّيِّيبِ وَفَاءً بِالْوَعْدِ ،
وَمَعَهَا صُورَةٌ مِنْ مَلَابِسِ النِّسَاءِ ، وَكُلٌّ مَا نَحْتَاجُ لَهُ الْمَرْأَةُ فِي التَّزِينِ
وَالتَّجَمُّلِ ، وَقَالَتْ لِنِعْمَةٍ : ادْخُلِي بِنَا إِلَى مَكَانٍ مُسْتَتِرٍ خَفِيٍّ .
فَدَخَلَ مَعَهَا إِلَى خَلْوَةٍ فِي نِهَآيَةِ الدُّكَانِ ، فَأَلْبَسَتْهُ مَلَابِسَ جَارِيَةٍ
بَدِيعَةِ الصَّنِيعِ وَزَيَّنَتْ مَعَاصِمَهُ وَصَدْرَهُ بِالْأَسَاوِرِ وَالْقَلَائِدِ ، وَكَانَ لَا يَزَالُ
خَفِيفَ شَعْرِ الشَّارِبِ وَالْعَارِضَيْنِ ، فَسَهَّلَ عَلَيْهَا إِزَالَتَهُمَا ، وَجَمَّلَتْ وَجْهَهُ
وَعَطَّرَتْ شَعْرَهُ ، وَعَصَبَتْ رَأْسَهُ بِالْعَصَائِبِ الرَّقِيقَةِ الْمَوْشَاةِ الْفَاخِرَةِ ،
فَصَارَ كَحُورِ الْجَنَانِ جَمَالًا وَحُسْنًا ، فَقَالَتْ لَهُ :

سِر أُمَامِي مَتَخَطَّرًا كَسِيرَ النِّسَاءِ ، وَقَدِمَ الشَّمَالُ وَأَخَّرَ الِیْمِینَ ،
فَفَعَلَ كَمَا أَمَرَتْهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ أَحْسَنَ السَّیْرَ وَالتَّعْلِیدَ . قَالَتْ لَهُ :
هَیَّا بِنَا ، وَقَوِّ نَمْسُکَ أُمَامَ الْحِجَابِ وَالْخَدَمَ ، وَلَا تَخَفْ وَعَلَى اللَّهِ
التَّوْفِیقُ .

ثُمَّ سَارَتْ وَسَارَ خَلْفُهَا حَتَّى أَتَتْ إِلَى الْقَصْرِ ، وَدَخَلَتْ وَنِعْمَةٌ فِي
إِثْرِهَا ، فَأَرَادَ الْحَاجِبُ أَنْ يَنْعِمَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ الْقَهْرْمَانَةُ :
يَا أُنْحَسَ الْعَبِيدَ ، هَذِهِ جَارِيَةٌ نَعْمَ ، فَكَيْفَ تَنْعِمُهَا مِنْ الدُّخُولِ ؟ !
ثُمَّ قَالَتْ لِنِعْمَةٍ :
ادْخُلِي يَا جَارِيَّةُ :

فَدَخَلَ نِعْمَةٌ مَعَ الْعَجُوزِ ، وَمَا زَالَا سَاطِرِينَ حَتَّى وَصَلَا إِلَى بَنَاحِ
الْحَرِيمِ ، فَقَالَتْ لَهُ الْعَجُوزُ :

يَا نِعْمَةُ ، اشْدُدْ عِزْمَكَ ، وَثَبَّتْ قَلْبَكَ ، وَإِذَا مَا اجْتَزْنَا بَابَ الْحَرِيمِ
فَسَا تُرْكُكَ حَتَّى لَا يَنْتَبِهَ لَنَا أَحَدٌ ، وَعِنْدَمَا أَتْرَكَكَ سِرَّ عَلَى شِمَالِكَ وَعَدَّ
خَمْسَةَ أَبْوَابٍ وَادْخَلَ الْبَابَ السَّادِسَ ، وَلَا تَخَفْ ، وَإِذَا كَلِمَتُكَ أَحَدٌ
فَلَا تُرُدَّ عَلَيْهِ .

فَقَالَ لَهَا : سَمِعًا وَطَاعَةً .

فَلَمَّا أَرَادَا اجْتِيَازَ بَابِ الْحَرِيمِ اعْتَرَضَهُمَا الْحَاجِبُ الْمَكْلُفُ حِرَاسَتِهِ ،
وَسَأَلَ الْعَجُوزَ مَنْ تَكُونُ هَذِهِ الْجَارِيَّةُ ؟
قَالَتْ : إِنْ سَيِدُنَا نَعْمَ تَرِيدُ شِرَاءَهَا .

فقال الحاجب : ما يدخلُ أحدٌ إلا بإذن أمير المؤمنين .

فقات العجوز : يا رجل عُدْ إلى صوابك ، وثب إلى رُشدك ،
ولا تُعرِّض نفسك لغضب السيدة نعم ، فإن أمير المؤمنين يغضب إذا
غضبت ، فهي جارية الخليفة المقدمة عنده ، وقد تعلق قلبه بها . وما
كِدنا نبتهج بشفاها ، حتى تُريدُ إغضاها ، وتتسبب في كدرها ،
واعلم أنك إن تسببت في ذلك فإن فيه حتماً قطع عُنقك ، فهذه الجارية
طلبتها وهي تؤدُّ شراءها ، وقد أحضرتها لها بإذنها . ومن يدرى ،
فلعلها لم تطلبها إلا بعد أن أعامت أمير المؤمنين وأذن لها ؟

ثم وجهت حديثها إلى نعمة قائلة :

ادخلي يا جارية ، ولا تُعلمي السيدة أن الحاجب منعك من الدخول
لئلا تغضب وقد يمتد غضبها إليه ، ونحر لا نرضى له الأذى .

فطأ نعمة رأسه ، ودخل ، وأراد أن يسير إلى يساره كما أفهمته
القهرمانة فارتبك وسار إلى يمينه ، ثم عد الأبواب الستة ودخل . فوجد
نفسه في مقصورة فرشت بالديباج ، وأسدت على حيطانها ستائر الحرير
المنهَّب ، وفي وسطها مبخرة يتصاعد منها بخور العود والعنبر ، والمسك
الأذفر ، ورأى في صدر المِكان سريرًا مفروشًا بالديباج والدمقس
فجلس عليه نعمة يفكر في أمره وينتظر ما سوف يحدث .

فبينما هو في هذه الحال ، دخلت عليه صاحبة المقصورة ، وكانت

أخت الخليفة ، ومعها جاريتها ، فلما رأت الفتى جالساً ظننته جارية ، فتقدمت منه ، وقالت له :

من تكونين يا جارية ؟ وما خبرك ؟ ! ومن دخل بك إلى هنا ؟
فلم يتكلم نعمة ، ولم يرد عليها جواباً ، لأنه وإن كان جماله من جمال النساء فإن صوته صوت الرجال .
فقلت : يا جارية ، إن كنت من جوارى أخى وقد غضب عليك فأنا أسأله لك ، وأستعطفه عليك .

فالتفت أخت الخليفة إلى جاريتها وقالت لها : قفى على باب الغرفة ولا تدعى أحداً يدخل .

ثم تقدمت إلى نعمة ، وتأملت وجهه ، فبهرت من جماله . فقالت :
يا صبية عرّفينى ، من تكونين ؟ ! وما اسمك ؟ ! وما سبب دخولك هنا ؟ ! فأنا لم يتع نظرى عليك فى قصرنا من قبل .
فظل نعمة على صمته ، فدخلت أخت الخليفة شكاً وارتابت فى الأمر وبدأت تغضب ، ووضعت يدها على رأس نعمة ، وأزاحت عنه الغطاء فعرفت الحقيقة .

فقال لها نعمة : يا سيدتى ، أنا مملوكك فاشترينى ، وأنا مُستجير بك فأجيرينى .

قالت وقد أخذتها الشفقة :

لا بأس عليك ، فمن أنت ؟ ! ومن أدخلك إلى عُرفتى هذه ؟



قال نعمة : أَنَا أَيُّهَا الْمَلِكَةُ أُعْرِفُ بِنِعْمَةِ بْنِ الرَّبِيعِ الْكُوفِيَّ ، وَقَدْ خَاطَرْتُ بِنَفْسِي ، وَأَلْقَيْتُ بِهَا إِلَى الْمَهَالِكِ لِأَجْلِ زَوْجَتِي نِعْمَ الَّتِي احْتَالَ عَلَيْهَا وَإِلَى الْكُوفَةِ ، وَأَخَذَهَا وَأَرْسَلَهَا إِلَى هُنَا قَسْرًا .
فَقَالَتْ : لَا تَخَفْ ، لَا بَأْسَ عَلَيْكَ .

ثُمَّ نَادَتْ جَارِيَتَهَا ، وَقَالَتْ لَهَا : امْضِي إِلَى مَقْصُورَةٍ نِعْمَ وَادْعِيهَا إِلَى ، وَكَانَتِ الْقَهْرْمَانَةُ الْعَجُوزُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ قَدْ أَتَتْ إِلَى مَقْصُورَةٍ نِعْمَ فَوَجَدَتْهَا جَالِسَةً وَحِيدَةً فَسَأَلَتْهَا :

هَلْ وَصَلَ إِلَيْكَ سَيِّدُكَ ؟

قَالَتْ : لَا ، إِنِّي لَمْ أَرَهُ

فَقَالَتِ الْقَهْرْمَانَةُ ، وَقَدْ شَجِبَ لَوْنُهَا ، وَزَاغَ بَصَرُهَا : لَعَلَّهُ أَخْطَأَ فَدَخَلَ مَقْصُورَةَ غَيْرِ مَقْصُورَتِكَ .

فَقَالَتْ نِعْمَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، لَقَدْ لَازِمْنَا سُوءَ الْحُظِّ حَتَّى فِي أَحْرَجِ الْأَوْقَاتِ ، وَلَقَدْ فَرَّغْتُ أَعْمَارُنَا ، وَانْتَهَتْ أَجَالُنَا ، وَجَلَسْنَا حَزِينَتَيْنِ تَفْكِرَانِ .

وَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَتَانِ سَاهِمَتَانِ حَائِرَتَانِ ، إِذْ بَجَارِيَةِ أُخْتِ الْخَلِيفَةِ دَاخِلَةً عَلَيْهِمَا ، فَخَبَّتْ ، وَقَالَتْ لِنِعْمَ : إِنَّ مَوْلَاتِي تَدْعُوكَ إِلَى مَقْصُورَتِهَا فَقَالَتْ : سَمِعًا وَطَاعَةً .

فَقَالَتِ الْقَهْرْمَانَةُ لَهَا هَامِسَةً : لَعَلَّ سَيِّدَكَ عِنْدَ أُخْتِ الْخَلِيفَةِ ، وَقَدْ انْكَشَفَتِ الْحِيلَةُ .

وذهبت نعم من فورِها إلى مقصورة أخت الخليفة، وقدمها تكادان
لا تحملانها من فرط الارتجافِ .

فلما رأتها أختُ الخليفة داخلةً قالت لها :
هذا زوجك نعمه أخطأ فدخل عندي ، وليس علمك ولا عليه خوف
إن شاء الله .

فلما سمعت نعم من أخت الخليفة هذا الكلام اطمأنت نفسها ،
وسكر روعها ، وتقدمت إلى مولاهما نعمة وفبلته ، ثم سقطا معاً من فرط
التأثر مغشيًا عليهما ، فلما أفاقا قالت لهما أخت الخليفة :
اجلسا لنفكرَ في الخلاص من الأمر الذي وقعنا فيه .

فقالا : يا مولانا ، سمعاً وطاعة ، والأمر لك
فأمرت جاريتهما بإحضار الطعام والشراب . فأحضرتهُ ، وانتظم
الثلاثة حول المائدة يأكلون ويشربون
فلما فرغوا ، قال نعمة :

ليت شعري ماذا يكونُ بعد ذلك ؟ !
قالت أخت الخليفة :

لا يكون إلا الخيرُ . قل يا نعمة ، هل تُحبُّ زوجتك حقاً ؟
قال : يا سيدتي ، إن محبتها ملكت عليَّ جميع مشاعري ، وسيطرت
على كل حواسي ودفعتنى إلى المخاطرة بروحي .
فقالت لنعم : وأنت يا نعم ، هل عندك مثل ما عنده ؟

فأجابت : يا سيدتى ؛ إن محبته هى التى غيَّرت حالى ، وعصفت
بكىانى .

قالت : لا كان من يُفرِّقُ بينكما ، فقرّا عينا ، وطبعا نفساً . ثم
استطردت قائلة لنعم :

هل تجيدين الغناء يا نعم ؟

فلما أجابتها بالإيجاب . أمرت جاريتهما أن تأتياها بعودٍ . فأخذت نعمُ
العودَ وأصلحته ، واحتضنته ، ثم أنشأت تغنى بصوتٍ عذبٍ رخيم ،
فكان سحراً جعلهم فى نشوةٍ ولذةٍ وسرور .

وكلا فرغت من أنشودة أو صوتٍ ، استزادها فزادتهما ، فنعمةُ
فرحٍ جذلاً بلفائه إياها ، نشوانٌ بسماعه صوتها الذى مضى عليه زمنٌ
وهو محروم منه .

وأخت الخليفة كذلك فرجةٌ بفرحهما ، مسرورةٌ بسرورهما ، معجبةٌ
برخامة صوت نعم وعذوبته ، على كثرة ما سمعت من أصوات رخيمة فى
مجالس أخيها من مغنيات وقيان

وبينما هم ساجدون فى بحرٍ من رخامة الصوت ، ولحن الشعر ، ونغم
الوتر ، والوقت يمرُّ عليهم ، وهم لا يشعرون بمروره ، إذ دخل الخليفة
عليهم ، مندفعاً إليهم بصدى الصوت الرنان الجليل ، فأكادوا يرونه حتى
هبوا له ، وقبل نعمة ونعم الأرض بين يديه .

فلما رأى الخليفة العود بيد نعم ، وعرف أنها هي صاحبة الصوت
الجميل زاد سروراً ؛ وقال لها :

يا نعم ، الحمد لله الذى شفاك ورعاك ، وأذهب عنك المرض ، ثم
نظر إلى نعمة ، وقال لأخته :

يا أختي ، من هذه الجارية ؟ !

قالت وهي تضحك : يا أمير المؤمنين ؛ إن لك جارية أنيسة لا تأكل
نعم ولا تشرب إلا بها ، فقال : والله إنها للمليحة مثلاً ، وفي غدٍ أدخل لها
مقصورةً بجانب مقصورة نعم إكراماً لها .

ودعت أخت الخليفة أخاها إلى الجلوس في مجلسها ، ودعت له بالطعام
والشراب ، فلما فرغ أوماً إلى نعم أن تنشد له شيئاً ، فأخذت العود
وشدته ، وما لبث المسكأن أن انتشى مردداً صدى صوتها العذب الحنون .
وطرب الخليفة أيما طرب ، وطلب منها أن تریده من أنغامها
وألحانها وهو يقول :

لله درك يا نعم ، ما أفصح لسانك !! وأوضح بيانك !! وأرخم
صوتك !! وما زالوا على هذا الحال حتى انتصف الليل ، فقالت أخت
الخليفة لأخيها اسمع يا أمير المؤمنين . لقد قرأت قصةً في بعض الكتب
عن أرباب المراتب ، وأود أن آخذ رأيك فيها .

فقال : وما هي هذه القصة ؟

قالت : إنه كان بمدينة الكوفة فتى يسمى نعمة بن الربيع ، وكان له

جارية يحبها وتحبه ، شَبَّتْ وترَبَّتْ معه . فلما كبرا أعتقها وتزوجها . ولكن لم يتمتعا طويلا بحبهما وسعادتهما ، فقد رماهما الدهرُ بنكباته . وجار عليها الزمان بآفاته . فلعب عليها الماكرُونَ بحيلهم ، حتى فَرَّقُوا بينهما ، وانتزعوها منه ظالماً وباعوها لبعض الملوك بعشرة آلاف دينار ، ففارقَ نعمة أهله وداره وبلده ، وسافر في طلبها ، غير ضنين ببذل المال ، ولا آبهٍ للمشقة والتعب . حتى التقى بزوجته بعد أن خاطَرَ برُوحه ، معرّضاً إياها للتلف . وما كاذَ يلقاها ، ويجلسُ معها حتى دخل عليهما الملكُ الذي كان قد اشتراها مِمَّنْ سَرَقها فعَجَّلَ عليهما ، وأمر بقتلهما .

فما تقولُ في ظلم هذا الملك يا أمير المؤمنين ؟

فقال الخليفةُ : إنَّ هذا لشيءٌ عجيبٌ ، فقد كان ينبغي على ذلك الملك أن يعفو عنهما ، ولو تأنَّى لأحسنَ في ثلاثة أشياء ، أولها أنه حَفِظَ لهما حبهما ، ثانيها أنهما بمنزله ، وتحتَ يده . فيجب أن يُنزلهما منزلة الضيف بالذي تقتضيه الروية أن يكرمهما . وثالثها ، أن هذا الأمرُ يَتعلَّقُ به ، ويجب أن يكون فيه حكماً عدلاً ، وإلا فما كان أهلاً أن يحكمُ بين الناس .

لذلك أرى أن هذا الملك قد فعل فعلاً لا يُشبهُ فعل الملوك السمجاء الذين لا يتعجلون العقوبة ، ولا يُصدرون إلا عن روية ، ولا سيما إذا كان الأمرُ يَتعلَّقُ بشخصهم ، فلا يَتصلُ بالدولة وشئونها ، ولا يؤثرُ في الرعية وحياتها وأمنها .

فانبسطت أسارير وجهها وقالت :

يا أخى من حكمٍ عَلَى نفسه بشيءٍ لزمه القيام به ، والعمل بقوله .
وأنتَ قد حكمتَ عَلَى نفسك بهذا الحكم . ثم قالت :
يا نعمة ، قف عَلَى قدميك ، وكذلك أنتِ يا نعم .

وقالت للخليفة : يا أمير المؤمنين إن هذه الفتاة الواقعة « وأشارت
إلى نعم » هى نعمة الزوجة المسروقة من زوجها ، سرقها واليك بالكوفة ،
وأرسلها إليك ، مُدَّعِيًا أَنَّهُ قد اشتراها بعشرة آلاف دينار كَذِبًا ،
وهذا الواقف هو نعمة بن الربيع زوجها ، فَأَنَا أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ ، وَأَسْأَلُكَ
بجُرْمَةِ آبَائِكَ الطاهرين أَنْ تعفو عنهما وتصفح عن جريرتهما ، إِنَّ عُدَّ
مَجْبِيءَ زوجها خِفيةَ جريرة ، وتدعو لهما ، وتباركهما ، لتغْنِمَ أَجْرُهُمَا
وثوابهما ، فإنهما فى قَبْضَتِكَ ، وتحت رحمتك ، وَأَنَا الشفيعَةُ فيهما ،
المستوهبة دَمَهُمَا .

وكان الخليفة قد تملكته الدهشة ، وأخذهُ العجبُ مما يسمعُ من
أقوالِ أختِهِ . وما تُبَيِّنُ لَهُ من حقائق خافية .

فلما عرف السبب ، وأدرك مقصدها قال :

صدقْتِ يا أختاه ، أَنَا حكمتُ بذلك ، وما أَحْكُمُ بشيءٍ وأرجع
فيه ، ثم قال لنعم :

يا نعم ، هل هذا زَوْجُكَ ؟

قالت : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : لا بأس عليكما ، فقد أرْجَعْتُكَ إليه ، لتعيشا معاً في سعادة
وهناة . ثم وجه حديثه لنعمة قائلاً :

ولكن يا نعمة : كيف عرفت مكانها ؟

فقال نعمة : يا أمير المؤمنين ، اسمع خبري ، وأنصت لقصتي ،
فوالله لن أخفي عنك شيئاً . وإنّا انطمعُ في سماحتك ، وأعتقد أن حُلمك
سيُسعُنِي ، ويسع كلَّ من عاونني حتى رأيتني في قصر الخلافة على الحالة
التي أنا عليها . ثم قص عليه ما فعل هو والحكيم الأعجمي . وما فعلته
القهرمانة معه ، وكيف دخلت به القصر ، وكيف خلط هو بين
الأبواب .

فازداد الخليفة عجباً .

وفي الصباح أمرَ باستدعاء الطبيب الأعجمي ، وأثنى عليه ، وكافأه ،
وعينه في خدمته ، وهو يقول : إنَّ مَنْ يكونُ في مثل عقلك وتديرك
لا يصحُّ أن تتركه ، وإن من صالحنا أن نجعله في مقدمة خواصنا .

وأحسنَ إلى القهرمانة العجوز ، وأنعم عليها بما جعل لسانها يلهجُ
بالشكر ، ولا يكف عن الدعاء ، وأكرمَ نِعْمَ ونعمة ، ودعاهما إلى
الإقامة في ضيافته سبعة أيام ، قضياها في سرور وبهجة ، ومآدب ،
وحفلات ، ثم استأذنا في السفر إلى الكوفة ، فأذن لهما .

فسافرا بصحبة إحدى القوافل .

وعلى بُعد الشقة وزيادة المشقة ، وكثرة متاعب السفر . لم يحسّا

تعباً ، بل مرَّ عليهما الوقت ، وكأنهما في نزهة جميلةٍ قصيرة ، يتمتعان
بمباهجها ، ويتسليان بمشاهدٍها .

وكانت فرحةُ أمِّ نعمة وأبيها بعودةِ ولديهما إليهما مُعافى سعيدياً ،
ومعه زوجته تفوق الوصف .

وعاشوا جميعاً سُعداء بِعَوْدَةِ سعادتهم ، فريحين باجتماع شملهم .



نور الدين وأنيس المجلس

(١)

كان بالبصرة حاكم يدعى محمد بن سليمان الزيني ، قام في رعيته ،
قيام الاب الرحيم في ولده ، والقاضى العادل في مجلس قضاائه ، والسياسى
الحكيم البصير بتدبير أمره . وقد أسس بنيان ملكه على تقوى الله
وطاعته ، داعياً إلى دينه ، ميسوط اليد في سبيله ، وكان له وزيران :

أما أحدهما فهو الوزير الفضل بن خاقان ، وكان خيراً ، سَمَحَ
النفس ، نير البصيرة ، صادق المشورة ، فأجمع الناس على محبته ،
والاعتزاز به .

وأما الآخر فهو المعين بن ساوى ، وكان فاسد الطوية ، خبيث
القطرة ، يفور أثره وحقداً ، وشرّاً على الناس وكيداً . فهم لذلك
يعتقونه ، ولا يطمئنون إليه .

وذات يوم أمر الملك وزيره الفضل ، فى جمع من وزرائه وحاشيته ،
أن يشتري له جارية تكون لذة العين ، وبهجة القلب ، خلقة وخلقا ،
فقال له الفضل : مثل هذه الجارية قد يبلغ ثمنها عشرة آلاف دينار ،
فأمر الملك أمين خزينته أن يعطيه هذا المبلغ من المال

أخذ الفضل المال ، وقام ساعياً فى الحصول عليها . فأصدر أمره
إلى النخاسين أن يعرضوا عليه الطبقة العليا من الحواري ، قبل أن يبرموا
فيهن لأحد يبعاً

وبعد شهر جاءه نخاس ومعه جارية ملء العين والقلب : هيفاء
غضة ، فرعاء بضّة ، ساحرة العينين ، وردية الخدين ، ناضرة الجبين ،
فاحة الشعر ، وهى بعد ذلك رقيقة الحواشى ، عذبة الصوت ، حلوة
النعم ، تجلّها الله بخلق سمح كريم ، فزادت جمالاً على جمال وسحرًا
على سحر .

وقعت عليها عين الوزير ، فأشرق وجهه سروراً بها ، فقال النخاس :
هى أنيس الجليس ، وهى إلى خلقها القويم مثقفة مہذبة ، تجيد الخط ،
وتحذق علوم اللغة والنحو ، وهى على علم بالتفسير ، وأصول الفقه ،

والطب والتقويم ؛ وتكاد تنطق آلات الطرب تحت أناملها ؛ وستنال من الحاكم إعجابه ورضاه .

لم يتردد الفضل في شرائها ، فسأل النخاس عن ثمنها ، فأجابه : عشرة آلاف دينار ؛ فلم يساومه الوزير ، وتقده عشرة الآلاف ، فقبضها ، وقال :
لى كلمة إن أذنت لى بها .

فقال الوزير : قل ما شئت ، وهات ما عندك .

فقال : أرى على الجارية آثار التعب ، فقد أجهدها طول الطريق ، ومشقة السفر ، ونقص العناية بها ؛ فلو حبستها في دارك بعض الوقت ، وكفلتها برعايتك وكرمك ، ومتعتها ببيرك ، وأنستها بلطفك ، وأشعرتها عطفك وعنايتك — فارت محاسنها ، وبان جمالها ، فتقع من نفس الحاكم حينما تقدمها إليه موقعا حسنا .

فرأى الوزير فيما قال النخاس وجه الصواب ، وقرر تنفيذه .
وتفياأت الجارية في قصره ، ظلل نعمة وكرمه ، فزادت بذلك
نصرة وجمالا .

وكان للوزير ولد يدعى نور الدين ، وكان هذا الفتى آية من آيات الله في حسنه ، وروعة جماله ، وحسن قده واعتداله . أعيا نور الدين والديه : فكان عابثا ماحنا ، لا تراه إلا لاعبا لاهيا ، لا يحمل للدنيا همما ، ولا يحسب لها حسابا . نخشى أبوه أن يفتن بالجارية ، أو يفتنه جمالها .
فقال لها :

لقد اشتريت لك لسيدنا ، وحاكم مدينتنا الذى ندين له بالولاء والمحبة ،
وحبستك فى دارى حتى تأخذى حظك من الراحة ، فاحذرى أن تقع
عين ابنى عليك ، أو يسمع لك صوتا .

ولكن الوزير فاتته أن ذلك الكلام نبه ذهن الجارية ، ووجهها لشيء
ما كان يخطر لها على بال ؛ فقد فطر المرء على أن يتشبث بما حرمه ، ويعلق
هواه بما حبس عنه ، وحيل بينه وبينه . فلم تر بأساً أن تحتال لرؤيته ،
على سبيل العلم والمعرفة ، لأنها يحفظها منه بقية من دين ، وخلق كريم .
ولكنها لم تكذب تقع عينها على نور الدين حتى وقع من قلبها ، وتمكن منه
لبارع حسنه ، وفاتن جماله ، وخفة روحه .

وقالت فى نفسها : وما يفيدنى بيت الملك إذا لم يشبع هوى ، ويسعد
قلبا . ويرض نفسا ؟ !

وهل المال والقوة والجاه ، وما سخر للإنسان من مظاهر الكون —
إلا لسعادة النفس ؟ !

وما دامت قد قيضت لى فكيف أكفر بها ، وأقيم سدا بينى وبينها ؟
فلا يمكن هذا الشاب من رؤيتى فإن نزلت من قلبه المنزلة التى نزلها
من قلبى ، فلا ضير أن يجمعنا الدين ، ويربطنا الزواج .

ثم حاولت أن تطل من النافذة بحيث يراها ، أو تخطر فى ردهة الدار
حيث يقع بصره عليها ، أو تذهب إلى غرفة سيدتها حينما يكون ابنها فى
زيارتها ؛ فرآها نور الدين ، وملا عينيه منها ، فوقعت من قلبه كما وقع من

قلبها ؛ والتقىا على الحب الكريم الطاهر الذى لا تشوبه شائبة من شك ،
وتواعدا على الزواج فى غفلة من أعين الرقباء من رجال القصر وجواريه .
تحقق حلم الجارية ؛ وظنت فى الشاب أن من وراء خلقه القويم ،
الخلق الكريم ؛ فذهبا خفية إلى المأذون الشرعى ، وأبرما عنده عقد
الزواج ، ثم رجعا ؛ وجعلا يجتمعان دون أن يشعر أحدهما .

وذات مرة لمحت أمه خارجاً من حجرتها ، فارتابت فى أمره ، وخفت
إليها مسرعة ، تسألها عما دعا نور الدين إلى دخول حجرتها ، فلم تر الفتاة
بداً من أن تصارح سيدتها بحقيقة ما جرى ؛ فأسقط فى يد الأم ، ودمعت
عينها . بن الهم والغم ، ورأت أنه من الحزم أن تحبر زوجها بما حدث .
ولما أخبرت والده الخبر ، دارت عيناه فى رأسه غما وحزنا ، وقال :
قلنا نور الدين بفعلته .

فقالت أمه : لا يحزنك ما جرى ، وخذ من مالى عشرة آلاف دينار
لتشتري للحاكم مثل هذه الجارية ، فالجوارى غيرها كثير .

فقال : لو أن الأمر ينتهى عندما تقواين لهان الخطب ، وخف حمله ؛
ولكن المعين بن ساوى يترصدنى ، ولا يترك فرصة دون أن يوقع بى ،
وسينخر الخاكم أنى آثرت ابنى عليه ، ولا يتورع أن يستأذنه فيهمج على
يبتى ، ويستخرج منه الجارية ، ويحملها إليه ، ويكون ذلك دليل صدق
لوشايته ، وإذا ذاك يحل على غضب الحاكم وعقوبته :

فقالت زوجته : مادمت مخلصاً فى ولائك للحاكم ، وفيأله ، صادق

النية ، برىء العمل — فأسلم إلى الله أمرك ، وارتقب حمايته ، فإنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى .

(٢)

أما نور الدين فقد عرف أن أمه لمحتة ، وأيقن أنها ستخبر والده ، فأخذ يفكر في أمره وأمر الجارية ، ويقدر ما عسى أن يحدث حين يعلم أبوه ، فإن في أييه غلظة وقسوة ؛ ولم يجد أبعد له من نقمة أييه ، ولا أروح لنفسه ، من أن يقضى يومه وجزءا من الليل في البستان ، حتى تسكن حركة القصر ؛ ثم يأوى إلى مضجعه .

وحدثته نفسه أن يذهب إلى أمه متوسلا ألا تخبر أباه ، ولكنه لم يستطع أن يفعل حياء من أمه ، وخشية ألا تطاوعه لأنها تعتبر كتمان هذا الأمر على أييه خيانة له ، ولا سيما أنه كان أوصاها من قبل ألا تغمض عينها عن الجارية حتى لا تقع في شرك نور الدين ، أو حتى لا توقعه هي في شركها .

ورأت الأم أن ابنها وزوجه في هزال وعلة ، من ألم الفراق والوحدة ، فقالت لزوجها : إن ابنك يحسب لك ألف حساب ، ويخشى أن تكون غاضبا ، فاعتزل الجارية ، ولكن كلا منهما دائم التفكير في صاحبه ، ويظهر أنهما لا ينعمان بنوم ، ولا يهنآن بطعام ، وقد أصابهما هزال شديد ، وقد يصيبهما سوء إن دامت بهما هذه الحال .

فقال : وماذا أفعل ؟



فقالت : أن تجمع بينهما ، وتدعو لهما ، فعمى أن يستجيب الله ويهدي ابنك صراطه المستقيم .

فارتقب الفضل عوده ابنه من بستانه ، وأجلسه بين يديه ، إن جحود النعمة سبيل إلى زوالها ، وقد وهب الله لك تلك الجورزقك بها من حيث لا تحتسب ، فأمسكها بمعروف ، وأنص نفسك ، ولا يضارها ، ولا تجنح عن سنة الدين ونهجه القويم ، وإجعل لك مخرجا ، ويهيء لك من كل أمر رشدا .

فقال نور الدين : وستجدني إن شاء الله مستقيما خيرا ، ولا لك نصحا ولا أمرا .

ثم أذن له والده أن يسكن إلى زوجه ، ويستأنف حياته ماطمئنان ودعة ، فقبل نور الدين يده ، وانقلب إلى زوجه مسرورا وما كادت تنظره ، حتى غرق منها في نظرة عابثة باكية ، وكيف هان عليك أن تهجرني ؟ ! فقص عليها ما جرى ، وذهب كل بأس وحزن ، وعاشا في صفاء ووئام سنة كاملة ، أنسى الله فيهم قصة الجارية وطلبه إياها

وكان الوزير المعين بن ساوى يعلم ذلك ، ولكنه يرتقب فرصا من فوزه في وشايته . فلبث يرتقب ويرتقب ، حتى جاء ما لا وعده ، ولحق الفضل بربه . فطاف بالناس : عامهم وخاصهم — من الحزن الأليم على فقده ، وشيع إلى قبره ، بين مظاهر الأسى والـ

لزم نور الدين داره بعد موت أبيه ، وترك ماله لوكيله ، يدير شئونه ،
وسكان بيته مقصد الوافدين ، وبسط يده كل البسط بالعطاء والكرم ،
غير عابئ بما قد ينتظره من فاقة وعدم فنصح له وكيله ألا يرهق ماله
بكثرة الإنفاق ، وإلا كان مصيره النفاذ .

ولكن نور الدين لم يستمع إلى نصحه ؛ وظل يجمع حوله الخللان
والأصدقاء ، ويغدق عليهم ، وظل يلح عليه كرمه ، حتى نفذ ماله .

وبينما هو جالس في صحبه ، الذين كانوا كالعلق ، يختلفون إليه في
الأيام والعشايا لامتناس ثروته ، إذ طرق بابه طارق ؛ خف نور الدين
إليه ، وتممه أحد أصحابه وهو لا يشعر به ، فوجد الطارق وكيله ، وقرأ
على وجهه ما ينبئ عن خطب وهم ، فقال : ما وراءك ؟

فقال الوكيل : وقع ما كنت أخشاه ، فقد نفذ مالك ، ولم يبق منه
ما يسلك رمقا

فلما سمع ذلك صاحبه الذي تبعه ، ارتد على عقبه مسرعاً إلى أصحابه ،
وهمس في آذانهم بما سمعه ؛ فقال بعضهم لبعض :

مالنا إليه حينئذ من حاجة ، وما علينا إلا أن ننفض من حوله .

فلما رجع نور الدين وعلى وجهه سمات من هم ناصب ، قال أحدهم :
أستأذك في الانصراف ، فإن زوجي تلد الليلة ، ولعلها في حاجة إلى
معاونتي ، وغادر المجلس

وقال آخر : لى صديق وعدته أن تنتظره الليلة في دارى ، وأحب أن

أنى بوعدى ، مخافة أن يحىء فلا يجدنى . وغادر المجلس أيضا .
وقال ثالث : لحق بى خادمى وأنا قادم إليك ، فأخبرنى أن ابنى يشكو
الما فى بطنه ، فأرجأت الانقلاب إليه ، حتى أحظى برؤيتك والاطمئنان
عليك . وغادر المجلس أيضا .

وطفق صحبه ، يتسللون من مجلسه ، واحدا فى إثر آخر ، ملتجئين
مختلف الأعذار ، حتى انقض المجلس جميعه ، ولم يبق أحد غيره . فدعا
زوجته وأخبرها بما جرى ؛ فقالت : هممت وقتا ما أن أنذرك هذا المصير ،
فعرفت أن خلطاء السوء ، ورفاق الشر — يحيطون بك ويمسكون عليك
سممك وبصرك وقلبك ؛ وأيقنت أن كلامى لن يفيد ، فلن تلتصيح ،
فتركتك للزمان ، وأمسكت عن الكلام ، ورجوت لك إقبالا سعيذا ،
ومجدا سائغا ، وهذا قضاء الله الذى لا مفر منه إلا إليه .

فقال نور الدين : لا إخال أصحابى على كثرتهم ، ينوءون بعبء واحد
مثلى ، كان لهم ينبوعا فياضا بالخير والعطاء .

فقالت : إن أملك هذا فيهم كمن يأمل فى الشيطان عملا صالحا .
فقال نور الدين : سأختبرهم جميعهم ، وسأقصد الساعة من آنس فيه
كرم النفس وصادق الوفاء ، أقترض منه شيئا من المال ، يعيننى على
التجارة ، حتى يبدل الله من عسرى هذا يسرا .

ثم ذهب إلى أحدهم وطرق بابه ، فأجابته جاريته : من الطارق ؟
فقال : أخبرى سيدك أن نور الدين بالباب يطلب لقاءك .

فمادت إلى داخل البيت ، وبعد مدة رجعت إليه قائلة : إن سيدى
غير موجود فذهب إلى ثان وثالث ورابع ، فلم يلق إلا مالقيه من
صديقه الأول .

فرجع إلى زوجه أنيس الجليس حزيناً ، مكسور الخاطر ، شارد
العقل ، زائغ البصر ، متتابع النفس ، وقال ما رأيت أحداً منهم أرانى وجهه .
فقلت : بع ما لا ضرورة له من أثاث البيت ، حتى يبسط الله لنا رزقه ،
أو ينفذ فينا حكمه ، وجعل يبيع الأثاث تباعاً حتى لم يبق منه شيء ،
ولم يفتح الله عليه بشيء ، فأشارت عليه أن يبيعها ويعمل فى التجارة بثمنها ،
حتى يقيض الله له ثراء ولهما اجتماعا .

وخرج بها نور الدين إلى السوق ، وفى قلبهما من الحسرة ما تنوء به
الجبال ، وتأبى أن تحمله ، فالتقى بالنخاس الذى كان قد اشتراها لوالده
فاستقبله استقبالا كريماً ، وعرف غايته ، وطمأنه على ثمن لها عظيم ،
وقام منادياً :

ما كل بيضاء شحمة ، ولا كل حمراء لحمة ، ولا كل صهباء خمرة ،
ولا كل سمراء ثمرة ؛ هذه الدرة اليتيمة والجوهرة الكريمة ، جمال باهر ،
وخلق طاهر ، وعلم كثير ، وأدب رائع ؛ فبلغ ثمنها أربعة آلاف وخمسمائة
دينار .

وكان الوزير المعين بن ساوى فى السوق ، فلما سمع النخاس ينادى ،
ورأى نور الدين بجانبه عرف أنه أفلس ، حتى لم يبق معه شيء فنخرج

يبيع الجارية ، وذلك ما كان يتوقعه بعد موت والده ، فأغراه الشر الذى فطر عليه أن يشتريها لنفسه على أن يأكل ثمنها بالباطل ، ويفجعه فيها ؛ فأرسل إلى النحاس رسولا يبلغه أن الوزير اشتراها بأربعة آلاف دينار . فأمسك عن النداء وانصرف المشترون عنها ؛ خوفاً من بطش الوزير وظلمه .

ثم مال النحاس على نور الدين ، وألقى فى أذنه : ضاعَت الجارية ، وخسرت الثمن .

فقال نور الدين : وكيف يكون هذا ؟

فقال النحاس : كتب عليك أن يحضر إلى السوق الوزير المعين بن ساوى ؛ وهو رجل مشئوم الطلعة ، زرى السجية . ممسوخ الفطرة ، حليف الشيطان . وعدو الإنسان ؛ احتجز الجارية دون الناس لنفسه ، وجعل ثمنها أربعة آلاف دينار ، ولكنه لن يعطى شيئاً منها . وخطته فى مثل ذلك أن يكتب أمراً إلى وكيله فى إداره أمواله أن يدفع لحامله المبلغ المبين فى ذلك الأمر ؛ فإذا ما ذهب صاحبه إليه ، وجد ألواناً من المراوغة والمطالة ، تنتهى بتهزيق الأمر وطرد حامله ، فيرجع صفر اليدين لا جارية استبقى ، ولا ثمنأ أخذ .

ولما لوالدك علينا وعلى الناس من فضل ونعمة ، فإننى أدلك على حيلة تقيك شر هذا الظالم الآثم . ذلك أن تأتى إلى الجارية أنيس الجليس ، وتصك وجهها قائلاً : إياك بعد اليوم أن نعصى لى أمراً ، هيا اذهبي

إلى الدار فقد بررت يميني ، وعرضتك للبيع ، ثم تسوقها إلى دارك .
فقال نور الدين : أشكر لك هذا العون الحميد

ولما تقدم نور الدين يأخذ جاريته اغتاط الوزير ، فزجره وقال :
كيف تسخر من الناس بإحضار الجارية لبيع كذب ؟

فقال نور الدين : إنها ملكي أتصرف فيها حسب إرادتي .

فقال الوزير : ووقتنا ملكنا ، وليس لك أن تضيعه علينا .

فقال نور الدين : لئن كان وقتك ملكك ، فليس لك أن تنفقه في
أكل أموال الناس بالباطل ؛ فإن كنت تريد الشراء بالحق فادفع من
فورك الثمن الذي أرتضيه .

فقال الوزير : ولا بد أن أشتريها بأربعة آلاف دينار على أن تأخذها
من وكيلى وجذب الجارية إليه .

فلم يطق نور الدين صبراً على هذا الظلم العسارخ ، وقبض بيده على
جيبه ، وجذبه جذبة عنيفة أسقطته في الطين عن جواده فهم من مع
الوزير من الممالك أن يضربوا نور الدين . فقال جمع الحاضرين . هذا وزير ،
وذلك ابن وزير ، وقد ينتهى ما بينهما من شقاق ، فلا تذكوا ناره
بتدخلكم ، وإلا عرضتم أنفسكم لثورة جموع الناس عليكم .

فأدرك الوزير وخامة العقبى ، وأشار إلى أعوانه أن يكفوا . ثم ذهب
إلى الوالى ، فى هيئته هذه الزرية ، يشكو حاله ، ويوقع بينه وبين
نور الدين .

وهناك قال : أرايت كيف نضام في سلطانك ، ونذل في حكمك .
وعزنا من عزك ، وجاهنا من جاهك ؟ !

عزيز علينا — يا مولاي — أن يظلمنا زمان أنت فيه ، وأن تأكلنا
كلابه ونحن رجالك .

فقال الملك : ومن فعل بك هذا ؟

فقال الوزير : ذهبت إلى السوق لأشتري جارية ، فألفيت نور الدين
ابن الفضل يبيع جارية ما رأيت مثلها جمالا وخلقا وعلما ، فسألت النحاس
عنها فقال : هذه كان الفضل بن خاقان اشتراها لحضرتك بعشرة آلاف
دينار ، كان قد أخذها من أمين خزانك ليباع الجارية التي أردتها فلما
رآها الفضل ذات جمال رائع ، وعلم واسع ، وخلق كريم — أثر ابنه
نور الدين عليك ، وجعلها له ، ولما مات ، وتحامل ابنه على ماله بالإسراف
حتى نفذ — اضطر إلى أن يبيع تلك الجارية ، فاشتريتها بأربعة آلاف دينار ؛
ولكنه أبى أن يبيعها لي ، وقال : تكون لليهود ، وللمجوس ، ولا تكون
لك . فقلت : إنما أردتها لمولاي الوالي الذي دفع ثمنها لأبيك ؛ فمطاول
عليّ بحمقه ، ورماني في الوحل على مشهد من الناس صغيرهم وكبيرهم ،
عظيهم وحقيرهم ، فلم أشأ أن أسوء إليه ، واخترت أن يكون أمره إليك .
فغضب الوالي ، وبدت آثار الغيظ على وجهه ، وكلف أربعين من
جنده أن يأتوا بنور الدين وجاريتته ، فصدعوا بأمره ، وأسرعوا إليه
في داره .

وكان قد سبقهم إلى نور الدين ، أحد المماليك الذين لا يضيع العرف
لديهم ، وكان يدعى علاء الدين سنجر . فأمر نور الدين أن يفر بجاريته ،
ويهاجر من المدينة ، وأعطاه خمسين ديناراً من ماله ، يستعين بها في
هجرته ، معتذراً بضيق ذات يده ، وأنذره إن ثاقل ولم يبادر ، أخذه هو
وجاريتته إلى الحاكم فقتلها ، لأن الوزير المعين بن ساوى ، أوغر صدره
عليهما ؛ وقص الماء لك ما قاله .

(٣)

تنكر نور الدين وجاريتته ، وغادرا البيت إلى الساحل ، وهناك أقامهم
مركب إلى دار السلام .

أرسل الملك أربعين جندياً إلى بيت نور الدين ، ففتحوه ، وكبسوه ،
وفتشوا فيه ، فلم يعثروا على أحد ، فرجعوا إلى سيدهم وأخبروه ، فأصدر
أمره بالبحث عنه في كل زاوية من زوايا الأرض وإحضاره ، وفرض أشد
العقوبة على من يخفيه ، أو يعاونه على الاختفاء ، وجعل لمن يحضره جائزة
سنية ؛ ولكن البحث لم يُجد شيئاً .

نزل نور الدين وجاريتته بغداد في وقت كان الربيع قد بدأ ، فجرى ماء
الحياة في الأشجار ، ونشطت الطيور ، وتحسن الجو : فالأشجار مورقة ،
والأزهار يانعة ، والنسيم عليل ، والماء جار سلسبيل .

وما زال سائر في البساتين ، حتى اتبها إلى طريق بين بساتين تنتهي
بباب مقفل ، وعلى جانبيه مصطبتان متقابلتان ؛ فخطر لهما أن يجلسا

على إحداها للراحة قليلا ، ولكن التعب لم يمهلهما حتى أسلمهما إلى نوم عميق .

وكان جلوسهما أمام بستان للخليفة هارون الرشيد ، فخرج بستانيه الشيخ إبراهيم ، فوجدهما نائمين ؛ فاستعجب مما رأى : رجل وامرأة نائمان على مصطبة أمام بستان الخليفة ! فأيقظ نور الدين ليسأله عن نفسه ، وعما أتى به . فأجابه في صوت محزون ، يمزق الألم قلبه : نحن غرباء قادنا السير على غير هدى إلى هذا المكان ، فجلسنا في ضيافة نسيمه العطر ، وهدوئه الآمن ؛ فأخذتنا سنة من النوم حتى أيقظتنا .

فقال البستاني : ولن أكون أقل من الطبيعة إكراماً للغريب ، وعطفاً عليه ؛ قوما معى إلى هذا البستان الذى ورثته عن أبى — وقد أخفى عليهما أنه للخليفة حتى لا يمتنعا عن دخوله — فاستجابا لدعوته ، وصحبا إلى بستانه ، فرأيا فواكه وأعشابا ، وجنات ألفافا ، وأنهاراً جارية ، وطيوراً مغردة ، تمر بها مواكب النسيم الرخية ، فتغنى الطيور على إيقاع من تصفيق الأوراق ، وحفيف الأشجار ، وهى سكرى من نوافخ الأزهار .

وساروا جميعاً إلى قصر الخليفة الذى أقامه لينختلف إليه من حين إلى حين ، كلما أراد النزهة والراحة من أعباء الملك ومتاعبه ، وصعدوا فيه إلى إيوانه العلوى ، وكان به ثلاثون حجرة ، بكل سقف من سُقُفها قنديل مدلى ، وتدلّت من سقف الإيوان ثريات بها شمع معدة للإضاءة ، وفرشت أرضه بطنافس عجمية ، وصفت بجنباته الكراسى العاجية ، ذات المقاعد

الوثيرة ؛ وتوسطت ساحته منضدة قوائمها من الأبنوس المطعم بالذهب والفضة ، هيئت لتكون مجلساً للمائدة ؛ فجلسوا على الكراسى حولها ثم استأذنها الشيخ إبراهيم أن يحضر لهما ما تيسر من الزاد ، يسكتون به أطيظ الأمعاء ، ويؤدى به الواجب لضيوفه الكرام ؛ فلما أحضر الطعام أكلا حتى شبعوا ، وشربا حتى رويأ .

وأنس نور الدين من الشيخ إبراهيم صدق الضيافة ، وإكرام الوفادة فطلب إليه شيئاً من الشراب ينسيه هو وجاريتته ما ثار في خواطرهما من قاسى الماضى القريب . ففهم الشيخ إبراهيم أنه الخمر ، وقال : أعوذ بالله أن تكون لى يد فى إحضار شراب خبيث حرمه الله ؛ فقد أنكرته على نفسى منذ ثلاثة عشر عاماً ، وقد لعن النبى صلى الله عليه وسلم شاربها ، وعاصرها ، وحاملها .

فقال نور الدين : وإذا لم تكن واحداً منهم فهل تصيبك اللعنة ؟

فقال : إذا لم أكن منهم فلن يضيرنى شىء .

فقال : خذ هذين الدينارين ، واشتر بهما خمرًا ، واحملها على حمار من عندك ؛ وإذا ذاك لا تكون شاربًا . ولا عاصراً ولا حاملاً .

فقهقه الشيخ إبراهيم وقال : ما رأيت أظرف منك شاباً ، ادخل هذه الحجرة وأحضر منها ما تشاء من صنوف الخمر التى أعدت لكبار الزائرين حين يفدون إلينا .

فبدت على وجه نور الدين وجاريتته أمارات من خوف وقلق ،

فابتدروها الشيخ إبراهيم قائلا : ذلك بستان أمير المؤمنين ، وهذا قصره ، وأنا بستانيه ، ولا بأس عليكما فإنه لن يحضر إلا بعد ثلاث ليال ، فطيبا نفساً وقرا عينا ، وخذا حظكما في كنف هذا القصر العظيم .

فدخل نور الدين الحجرة ، فأدهشه ما رأى من أواني الذهب والفضة ، وأكواب يكاد يريقها يضىء ، فأحضر ما شاء صنوف الخمر وأكوابها ، ووضعها بينهم على المنضدة ، وجعلا يشربان ، والشيخ إبراهيم يعف عن مشاركتهما على الرغم من إلحاح نور الدين عليه ، معذراً بتوبته ، وإقلاعه عنها ، وزهده فيها ؛ لأنها متلفة للمال ، مضرّة بالصحة ، مفسدة للدين ، مغضبة للرب ، منقصة للهيبة . مذهبة للعقل .

فجملت الجارية تروضه ، وتؤلف نفسه ، وتغريه بشتى وسائل الإغراء ؛ حتى سلس قياده فشرب وعصى ، وتجرع الكأس الأولى ، فاستمر هواه ، وأتبعها ثانية وثالثة وكان على مذهبهما في احتسائها ، والرغبة فيها . ولما تحكمت في رءوسهم أجمعين استأذنت الجارية الشيخ أن توقد الشموع المصفوفة ، وتفتح الشبايك المقفلة ، فقال : على أن يكون بعضها ، واسكنها لم تبق منها شيئاً ، فظهر الإيوان مفتحة شبائيك ، موقدة شموعه ، فقم ذلك عن وجود أحد فيه .

وحانت من الخليفة وقتئذ التفاتة نحو بستانه ، فرآه يتألق نوراً ، وقد فتحت شبائيك إيوانه ؛ فهمة ما رأى ، وتملكه عجب شديد ؛ لأنه لم يكن يجرؤ أحد غيره على أن يدخل قصره ، وقال : على بجعفر البرمكي ؛

فذهب الخدم على عجل إلى دار جعفر ، وأخبروه أن الخليفة يطلبه ،
ويستعجل حضوره فذهب إليه مسرعاً .

ولما مثل بين يديه أراه البستان وضوءه ، وسأله عن ذلك في غيظ ودهشة .
فأنبهم الأمر على جعفر ، ولكنه سرعان ما أسعفه قريحته ، فقال :
لقد حدثني الشيخ إبراهيم منذ أسبوع أنه رغب أن يختن أولاده في
ليلة فرحة مريحة بقصر الخليفة ، فقلت له : إن أمير المؤمنين يسره أن تفرح
بأولادك على أى وجه تريد ؛ فإنه يحبك ، ويعطف عليك كما يحب أبناء
أمته محبته لولده ، وسأعرض عليه أمرك ، ولكنني نسيت . وما أنسانيه
إلا الشيطان أن أذكره ، ولعله الآن في القصر فرح بأولاده .

فقال الخليفة : أخطأت حينئذ خطأين : أما أولهما فإنك لم تعاملني ،
وأما ثانيهما فلأنك يسرت للشيخ إبراهيم أمره دون أن تعرف غرضه
فما عرض ذلك عليك إلا تلميحاً بطلب شيء من المال ينفعه ، فلا أنت
أعطيته المال ، ولا أنت أخبرتني حتى أمدّه بما يكفيه .

فقال جعفر : متع الله أمير المؤمنين بيقظته ، وحده ، وما أوقنني
في هذا إلا الدسيان .

فقال : وحق علىّ أن أقضى معه البقية الباقية من ليلته ، فهو رجل
طيب ذاكر ، وأصحابه من الطيبين الذاكرين ؛ الذين يقضون جزءاً
كبيراً من وقتهم في صلاة وعبادة ، ولعلّ أحظى منهم بالدعاء الخالص
المستجاب ، فإنما يتقبل الله من المتقين .

فقال جعفر : إنهم الآن في نهاية ليلتهم يا أمير المؤمنين ، وقد نجدهم منفضين .

فقال الخليفة : مهما يكن من الأمر فلا بد من أن أذهب إليهم .
وهب قائماً ، وسار معه جعفر ، ومسرور سيافه ، متنكرين
في زيّ تجار من أهل تلك المدينة ، حتى كانوا بجوار القصر ، فقال
الخليفة :

من رأى أن يصعد في هذه الشجرة العالية ، المطة على شبايك
الإيوان ، فأراهم من حيث لا يرونى . وأقف على حالهم ، ثم نقرر ما نرى
في كيفية الدخول عليهم ، والانتظام في سالكهم . فحاول جعفر أن يجعل
الخليفة يكف عن الصعود على الشجرة ، ولكنه رأى منه إصراراً على أن
يصعد ، فعرض عليه أن يصعد هو ويصف له ما يشاهد ، فأصرّ الخليفة
على أنه هو الذى يصعد ، وخلع حذاءه وقبائه ، وصعد على الشجرة ،
فماذا رأى ؟ !

رأى الخليفة نور الدين وجاريته ، وما كاد يقع بصره عليها حتى بهره
جمالها ، كما حيّره أن رأى الشيخ إبراهيم ممسكاً قدحاً من خمر في يده
ويقول : يا ربة الحسن الرائع ، لا شرب من غير طرب !

يا ربة الحسن والجمال ، املئى لى كأساً كبيرة ، وقدميها لى ييدك
اللطيفة ، وغنينا صوتاً حلواً نشرب عليه ، فإن الخليل لا تشرب إلا
بالصفير .



نزل الخليفة من فوره ، وقال لجعفر : اصعد مكاني من الشجرة ،
وانظر كرامات الصالحين البررة .

فصعد جعفر ، ونظر ، فلم ير إلا ما رآه الخليفة ، ونزل مسرعاً في
حيرة من أمره .

ثم وقفوا يستمعون ، فإذا بهم يسمعون الجارية تقول للشيخ إبراهيم :
لو كان عندك آلة طرب اتم سرورنا بما تسمعه من شجى الغناء .

فقال الخليفة لجعفر : ائن غنت ولم تحسن قتلهم وقتلتك معهم ، وإن
أحسننت الغناء قتلتك وعفوت عنهم .

فقال جعفر : اللهم لا تحسن غناءها .

فقال الخليفة : ولم ذاك ؟ !

فقال : حتى نتقل معاً إلى الدار الآخرة فيؤانس بعضنا بعضاً .

فضحك الخليفة ، على الرغم من عجبه ودهشته مما رأى ، ومما سمع ،
وانتظر ، يستمعون .

أمرع الشيخ إبراهيم إلى غرفة قريبة ، وأحضر منها عوداً ، وقدمه
للجارية . فتناولته ، وأخذت تمرك آذانه ، وتعبث بأوتاره عبثاً خفيفاً ،
حتى استقامت لها ، ثم عزفت ، ورفعت صوتها واندفعت تغنى ، في
سكون الليل ، وهدوء الطبيعة شعراً يذوب رقة ، ويسيل عاطفة وحناناً ،
يصوره صوت عذب رخيم ، في نغم ندى جميل

فما كاد الخليفة يسمع صوتها وعزفها — حتى وقعت من قلبه موقعاً

عجيباً ، فإنه لم يملك أن تمايل تمايل الثمل ، وترنح كما تترنح الأغصان
بداعبة النسيم على نغمات الأطيّار ، فلم يتمالك أن رفع صوته قائلاً :
ما أحلى هذا الصوت وما أعذبه ! وما أجمل هذا الإيقاع وما أبدعه !

فقال جعفر : عسى أن يكون قد سرى عن الخليفة ، وذهب

غيظه !

فقال : وأحب أن أكون معهم ليطول استمتاعي بتلك الجارية .

فقال جعفر : أصبح الأمر يسيراً .

(٤)

وكان قد مر بالبستان صياد يعرفه الخليفة يسمى كريماً ، فلما وجد
بابه مفتوحاً تسلل منه إلى مكان على نهر دجلة ، كان الخليفة قد حرّم على
الصيادين أن يأتوا إليه ؛ وما كاد يهيئ الشبكة لإلقائها في البحر ؛ حتى
كان الخليفة بجواره ؛ وذلك أنه سمع حركة ؛ فذهب إلى مصدرها
ليقف على أمرها قبل أن يصعد إلى الإيوان .

رأى الخليفة كريماً الصياد في هذا المكان ؛ فقال له : ما جاء بك

يا كريم إلى هذا المكان وفي هذا الوقت ؟

فلم يكد كريم يسمع الصوت ، ويتبين صاحبه ، ويعرف أنه الخليفة

حتى ارتعدت فرائصه وقال :

يا أمير المؤمنين ، لم يكن محيئاً هنا عصياناً ولا خروجاً من طاعتك ،
ولكنه الفقر والعميلة .

فقال الخليفة : لا بأس عليك يا كريم ؛ ولكن هيا ، ألقى شبكتك
ولنا ما تخرج ، قليلاً كان أو كثيراً ، وخذ هذين الدينارين .

ألقى كريم شبكته في النهر ، ثم جذبها إليه ، وأخرجها ، فإذا بها
جادت بسمك كثير مختلفة أشكاله ، ففرح الخليفة بالسمك إلا أن تفكيره
في مجلس الأنس المنعقد في قصره كان يملك عليه نفسه وشعوره ، وكان
تفكيره في أن يحضر هذا المجلس ، ويجلس مع الشيخ إبراهيم دون أن
يعرفه . فقال للصياد :

اخلع ثيابك وعمائمك ، ثم لبسهما الخليفة ، وأعطاه بدلاً منهما
ثياباً من الحرير .

وما لبس الخليفة ثوب الصياد حتى لسمته قلة في قفاه ، فد يده
وتجسس مكانها ، حتى قبض عليها ، وألقاها على الأرض ؛ ثم قال :

إن ثوبك يا كريم به قل كثير

فقال كريم : ستسكن إليه ياسيدي وتحتمل لسمه صابراً بعد أسبوع .
فضحك الخليفة وأذن له أن ينصرف ، فشى داعياً شاكرًا .

وضع الخليفة السمك في قفة الصياد ، وحملها ، وذهب إلى جعفر
مثلاً متكرراً في زى الصياد فلما رآه جعفر قال : ما جاء بك هنا يا كريم؟
أسرع وانج بنفسك قبل أن يراك الخليفة .

فضحك الخليفة ضحكة شديدة عالية استبان منها جعفر صوت الخليفة ونبراته .

فقال جعفر : لعلك مولانا أمير المؤمنين ؟ !

فقال الخليفة : وما دمت لم تعرفني في هذا الزى ، فإن الشيخ إبراهيم لا يعرفني ؛ فالزم مكانك حتى أعود إليك .

فقال جعفر : سيمًا وطاعة ؛ ولكن أرجو أن يحتاط سيدي لنفسه ، ويصطحب معه مسروراً السياف فلعل في الأمر شيئاً ، أو لعل هول المفاجأة يجعل واحداً من هؤلاء يفكر في أمر خطير .

فضحك الخليفة وربت على كتف جعفر وداعب لحيته وطمأنه على نفسه ، وانحدر مسرعاً إلى باب القصر وطرقه ، فجاءه الشيخ إبراهيم قائلاً : من بالباب .

فقال الصياد : أنا كريم جئتكم بسمك كثير تكرم به ضيوفك . وكان نور الدين وجاريتته يحبان السمك ؛ فلما رأياه مع الصياد ، قالوا : لو كان مقلياً .

فقال الصياد : أنا مستعد يا سيدي أن أأقله ، وأعود من فوري ، ونزل به إلى جعفر ، وقال له : أرادوا السمك مقلياً ، فهيا بنا إلى خص الشيخ إبراهيم .

وهناك وجدا ما يحتاجان إليه من زيت ووقود وأواني ؛ فأوقد جعفر النار وغسل الأواني ، ونظف الخليفة السمك ، وقطعاه معاً ، وخطا به

التوابل وقلياه . ثم حمله الخليفة على ورق الموز ، وأخذ معه ليمونا من البستان ، وصعد به إليهم . فأكلوا هنيئاً ، ومد نور الدين يده بثلاثة دنانير إلى الصياد قائلاً : لو عرفتك قبل أن يصيبني ما أصابني لأغنيتك من فقرك ، ولكن الجود من الوجود ، فتقبلها الملك ، ووضعها في جيبه داعياً له ، ثم قال له : لو تفضلت عليّ بسماع أغنية من هذه الجارية كنت لك خير شاكر ، وكنت أكرم متفضل . فلما سمعت الفتاة ذلك تناولت العود وغنت :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر
ولما رأى نور الدين أن الصياد طرب طرباً عظيماً ، قال له : هل أعجبتك الجارية يا هذا ؟

فقال : إي وربّي

فقال نور الدين : هي هبة مني لك ؛ هبة كريم لا يرجع .
ولكن الخليفة أدرك بحسه أن ألماً في نفسيهما يحاولان إخفاءه ،
فقال : أحب أن أعرف شأنكما لو تكرمتما .

فتقص عليه نور الدين تاريخه ، وما جرى له . فقال الخليفة : وأين تذهب الآن ؟

فقال : أرض الله واسعة .

فقال الخليفة : سأكتب ورقة تأخذها إلى السلطان محمد الزيني ،



فإذا قرأها كنت منه بمنزلة الأخ الذي يستمتع بنعمة أخيه وولائه .
فقال نور الدين : وكيف يكتب صياد إلى ملك فيستمع لقوله ،
ويستجيب لإشارته .

فقال الخليفة : الأمر فوق ما تقول ؛ فقد كنا أخوين نتعلم في مكتب
واحد ؛ وكنت أنا عريفه ، ثم أسعده الحظ فكان ملكا ، وكباني فكنت
صيادا ؛ ولكنه لا يزال يذكر عهد الأخوة ، فلا أكتب إليه في حاجة
إلا قضاها .

فقال نور الدين : اكتب وسننظر ما يكون ، فكتب الخليفة :
من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى محمد بن سليمان الزيني عامله على
البصرة ؛ السلام عليك ورحمة الله .

أما بعد ؛ فإذا جاءك كتابي هذا فاعزل نفسك ، وليجلس حامله
مكانك .

ثم سلم الكتاب إلى نور الدين ، فوضعه في عمامته ، وذهب إلى
البصرة .

ولما تسلم الزيني الكتاب قال : سمعا وطاعة لأمر المؤمنين . وأحضر
القضاة والوزراء ومن بينهم الوزير المعين بن ساوى ، وأعلن أنه يريد أن
يخلع نفسه نزولا على أمر الخليفة ، وناولهم الكتاب ؛ ولما وقع في يد
المعين بن ساوى مزقه ، وقال : كيف تخلع نفسك بورقة أحضرها غر
أحق مثل هذا الشاب — وأشار إلى نور الدين — إن هذا زور وبهتان ،

ولو كان من عند الخليفة لأرسل معه رسولا من عنده .

فقال الزينى : وماذا نفعل ؟

فقال الوزير أن تسلم لى هذا الشاب ، لأرسله مع حاجبى إلى بغداد ،
لنتبين الأمر .

فقال الزينى : خذه وافعل ما تشاء .

فسامه الوزير إلى سجان يقال قطيط ، وأوصاه أن يصب عليه ألوان
العذاب صبا ؛ فقال قطيط : سأجعله يطلب الموت من قسوة ما يحل به .
قال قطيط هذا أمام المعين بن ساوى ، ولكن فضل نور الدين وأبيه
لا يزال يغمره ، فلم تطاوعه نفسه أن يعذب نور الدين أو يقسو عليه ،
ولكنه أكرمه ، وأحسن إليه على غير علم من الوزير أربعين يوما ؛ وفى
اليوم الحادى والأربعين سأل الوالى الوزير عن نور الدين ، وعما تم فى
مسأله ؛ فقال : لقد مضى أربعون يوما ، والتجار بين البصرة وبغداد
لا يزالون غادين راثمين ، ولم نسمع منهم شيئا عما قرأناه فى ذلك الكتاب
الذى كان يحمله ، ومن رأى أن تقتله ، جزاء خيائته وكذبه .

فقال الوالى : أحضره ، ونفذ فيه حكم الإعدام ،

فأجابه الوزير : حتى نذيع بين الناس ذنبه ، وندعوهم يشهدون قتله .

فقال الوالى : افعل ما تشاء

وانتشر المنادون فى البصرة ينادون أن احضروا يوم كذا فى ساعة
كذا إلى الميدان الكبير ، لتشهدا وقتل نور الدين ؛ جزاء اقترافه جريمة

التزوير في كتاب أمير المؤمنين ، وإحضار كتاب مزيف ، يزعم فيه أن الخليفة عزل واليكم الأمير ، وعينه بدله .

ففزعوا لهذا النبأ ، وغرقوا في حزن أليم ، ولم يؤلمهم أن نور الدين زور على الخليفة كتاباً ، لأنهم لم يصدقوا ذلك ؛ بل آلمهم ، وضائقهم ، أن يُقتل نور الدين ، وهو ابن وزيرهم الذي أحبهم وأحبوه ، وسهر على مصالحهم .

وفي الموعد المضروب هرع الناس إلى الميدان الكبير ، وكانوا بين باك وواجم ، داعين الله أن يسخر لهذا المظلوم من ينجيه من يد الظالم وبغيه . .

أما نور الدين فقد أسلم وجهه إلى الله ، ودعاه أن يرد عنه كيد الكائدين ، ويبين للناس في أمره الحق من الباطل .

وبينما ينتظر الناس أمر الوالي بضرب عنقه ، إذ رأى من نافذة قصره غباراً كثيفاً يصعد في السماء ، ويدنو من البصرة شيئاً فشيئاً ، فأمر أن يربأ تنفيذ الحكم في نور الدين حتى يستبين أمر هذا الغبار وكان هذا الإرجاء على غير هوى ولا رغبة من الوزير المعين بن ساوى .

كان هذا الغبار لجعفر البرمكي وزير الخليفة ومن معه من الجنود ، وذلك أن الخليفة مر على حجرة أنيس الجليس ليلة من الليالي ، فسمعها تبكي وتذكر أن خياله لا يفارقها في نوم ولا في يقظة ، وأن ذكره على لسانها ، لا تسكت عنه .

فدخل عليها مقصورتها ليسألها عن سبب بكائها ، فلما رأته وقفت
محيرة ، ثم أنشدت :

أيام من زكا أصلا وطاب ولادة وأثمر غصناً يانماً وزكا جنسا
أذكرك الوعد الذي سمحت به محاسنك الحسنى وحاشاك أن تنسى
فقال الخليفة : من أنت ؟

فقالت : هدية نور الدين إليك ، وأرجو أن تنجز وعدك فترساني
البصرة إليه ؛ فقد مضى على قرابة شهرين لم أذق فيهما النوم إلا غراراً ، حسرة
على فراقه ؛ فأمر أن يحضر إليه جعفر ، فلما جاءه قال : مضى زمن ونحن
لم نعلم عن نور الدين ما تم في شأنه ، ولعلهم قتلوه ، ورب الكعبة انن
كان قد قتله أحد لأقربائه ، فسافر إلى البصرة واثنتي بخبره .

فلما حضر جعفر ، وجد زحمة وهرجاً ومرجاً أمام قصر الوالي ، فسأل
عن سببها ، فأخبروه أمر نور الدين ، فأسرع إلى الوالي وأيد صدق
كتاب نور الدين ؛ ثم عزله ، وولاه مكانه ، وأمر بالقبض على الوزير
المعين بن ساوى .

تنفس الناس الصعداء ، واستراحت نفوسهم ، واطمأنت ضمائرهم ،
وحمدوا لله نعماءه ، وللخليفة صنيعه وإحسانه ، وأشرقت وجوههم فرحاً
وغبطة ؛ وبعد ثلاثة أيام ، سافر جعفر إلى بغداد ومعه الوالي المخلوع ،
ووزيره المقبوض عليه ونور الدين بن الفضل ، وهناك قص على الخليفة
القصة ، فأعطى نور الدين سيفاً ، وأمره أن يضرب عنق الوزير الآثم :

المعين بن ساوى ، فلما أقبل عليه ليحز رقبتة ، قال له الوزير : كل منا يعمل على شاكلته ، وإنى ألجأ منك إلى طبعك الكريم ، فألقى السيف من يده معتذراً أنه لن يستطيع قتله بيده .

فأمر الخليفة مسروراً أن يضرب عنقه ، فأطار رأسه في التّو عن جسمه . ثم التفت الخليفة إلى نور الدين سائلاً عن حاجة يريدها في نفسه ، فقال : ليس لى حاجة إلّا أن أسمع بجوارك ، وأبقى في كنفك ، فقال : لك ذلك ، وأسكنه وجاريته قصرأ من قصوره ، وأجرى عليهما نعمة السابعة ، حتى وانهاها الأجل المحتوم .

وكذلك يجزى الله الظالمين ، ويدافع عن المؤمنين المخلصين .



الأحذب والخياط

(١)

كان في مدينة البصرة خياط غني ، اعتاد أن يخرجَ بزوجه إلى
المتنزهات ، لا جُتلاء مباحج الطبيعة .

وذاتَ يومٍ وهما راجعان من نزهةٍ خلويةٍ ، رأيا في طريقهما رجلاً
أحذب ، شكله يُضحك الحزين ، فأخذه إلى منزلها ، ليكون مُصحِّحاً
لهما تلك الليلة القادمة ، وكانت الزوجة قد أعدت سمكاً وليموناً وخُبزاً ،
لتنأوله وقتَ العشاء .

فلما جلسوا حول المائدة يأكلون ، ناوَلَتِ الزوجةُ الأحذبَ قطعةً

من السمك ، وأقسمت عليه أن يبتلعها ، دون أن يمضغها ، وكان فيها
شوكة صلبة على غير علمٍ منها ، فوَقَفَتْ في حلقه ، وغُصَّ بها غُصَّةٌ
حادَّةٌ ، وكانت سبب وفاته .

فَحَزِنَ الخياط وقال :

حظُّنا الليلة عابسٌ أسود ، وكيف نخالصُ من هذه الورطة ؟ !

فَقَالَتْ زَوْجُهُ : مالكَ قد اضطربت ، والمسألة في غاية السَّهولة ؟ !
قُمْ واحمله على كتِفِكَ ، كأنه ابنُك ، وأنا سائرة من ورائك ، واذهب به
إلى الطبيب اليهودي في شارع البحر ، وهناك ننتظر الفرج ، فإمَّا عالجُه
وإمَّا خلَّصنا منه بأية وسيلة .

ولما طَرَقَ باب الطبيب نزلتْ إليه جاريةُ سوداء ، وفتحت الباب
وقالت : ماذا تريدون ؟

فناوَلَتْ زوجة الخياط الجارية رُبْعَ دينار وقالت :

وَلَدِي الصغير مريض ، فبلِّغِي الطبيب أن ينزل لفحصه ، وعملِ الدواء
اللازم له .

فصعدت الجارية لتُبلِّغَ الطبيبَ الخبر .

وفي أثناء ذلك أَمَرَتْ الزوجة الخياط أن يترك الأحدثَ داخلَ الدَّارِ ،
ويَرْجِعَا مُسرِعَيْنِ ، ففعلَ الخياط ما أشارت به ، وعادا إلى منزلها
سالمين . . .



فَرِحَ الْيَهُودِيُّ بُرْبُعَ الدِّينَارِ ، وَنَزَلَ مُسْرِعًا إِلَى الْمَرِيضِ ، دُونَ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ مِصْبَاحًا يُنِيرُ لَهُ الطَّرِيقَ ، وَأَمَرَ جَارِيَتَهُ أَنْ تَلْحَقَهُ بِمِصْبَاحٍ ، فَدَاسَ الْمَرِيضُ بِقَدَمِهِ ، وَلَمَّا تَبَيَّنَتْهُ عَلَى ضَوْءِ مِصْبَاحِهِ وَجَدَهُ قَدْ مَاتَ ، فَأَصَابَهُ غَمٌ عَظِيمٌ ، وَحَمَلَهُ إِلَى زَوْجَتِهِ ، لِيُطْلِعَهَا عَلَى خَبَرِهِ ، وَتُشِيرَ عَلَيْهِ بِمَا يَفْعَلُهُ ، فَقَالَتْ :

إِنْ سَكَنَّا إِلَى الصَّبَاحِ ضَاعَتْ أَرْوَاحُنَا بِسَبَبِهِ ، وَجَارُنَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ ، مُبَاشِرٌ مُطْبِخُ السُّلْطَانِ ، وَسَطَحُ مَنْزِلِهِ مَأْوًى لِكَثِيرٍ مِنَ الْقِطَطِ وَالْكَلَابِ ، فَإِذَا أُلْقِيَاهُ عَلَى سَطَحِ مَنْزِلِهِ فَقَدْ لَا تَمُضِي لَيْلَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ ، حَتَّى تَكُونَ الْكَلَابُ وَالْقِطَطُ قَدْ أَكَلَتْهُ .

فَفَرِحَ الْيَهُودِيُّ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ ، وَأُلْقِيَاهُ عَلَى سَطَحِ الْمَنْزِلِ ، وَتَخَلَّصَا مِنْ هَذَا الْقَتِيلِ ، وَفَازَ الْيَهُودِيُّ بِرُبْعِ الدِّينَارِ .

وَاتَّفَقَ أَنْ جَاءَ الْمُبَاشِرُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَأَخَذَ شِمْعَةً مُضِيئَةً فِي يَدِهِ ، وَصَعَدَ بِهَا إِلَى سَطَحِ مَنْزِلِهِ ، لِشَأْنٍ مِنْ شَأْنُونِهِ ، فَوَجَدَ الْأَحَدَبَ نَائِمًا ، فَظَنَّهُ لَصًا اعْتَادَ أَنْ يَسْرِقَ دُهْنَهُ وَلَحْمَهُ ، فَوَكَّزَهُ بِعَصَا فِي يَدِهِ ، وَلَمَّا لَمْ يَتَحَرَّكَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُيَقِّلَبُهُ ، فَوَجَدَهُ قَدْ فَارَقَ الْحَيَاةَ ، فَظَنَّ أَنَّ مَوْتَهُ بِسَبَبِ ضَرْبَتِهِ فَقَالَ :

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، سَتَرَكَ الْجَمِيلُ يَا رَبِّي ، ثُمَّ حَمَلَهُ وَطَرَحَهُ بِجَوَارِ حَائِطٍ فِي الشَّارِعِ الْعَامِ وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ .

وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نَصْرَانِيٌّ يَقْصِدُ الْحَمَّامَ ، وَكَانَ

السُّكْر لا يزالُ قوياً في رأسه ، ولما وقعَ نظْرُهُ على الأحْدَبِ ، توَهَّمُ أَنه متربِّصٌ لإيْدائِهِ ، وَخَطَفَ عِمَامَتِهِ ، على نَحْوِ ما يَفْعَلُ الصَّبِيانُ به ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَضْرِبُهُ وَيَضْرِبُهُ ، وَيُنَادِي حَارِسَ سُوقِ الْمَدِينَةِ كَأَنَّهُ يَسْتَفِيثُ به ، فإِذَا حَضَرَ وَجَدَهُ بَارِكاً فَوْقَهُ ، يَضْرِبُهُ تَارَةً ، وَيَخْنُقُهُ تَارَةً أُخْرَى ، وَلَحَظَ الْحَارِسُ أَنَّ الْأَحْدَبَ لَا يَتَحَرَّكُ فَتَحَنَّنَ عَنْهُ النَّصْرَانِيَّ ، وَقَلَّبَ الْأَحْدَابَ فَوَجَدَهُ مَيِّتاً ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى بَيْتِ الْوَالِي ، حَيْثُ يَلْقَى جَزَاءَهُ .

وفي الصَّبَاحَ نَظَرَ الْوَالِي قِضِيَّةَ الْأَحْدَبِ ، وَحَكَمَ عَلَى النَّصْرَانِيَّ بِالْإِعْدَامِ شَنْقاً ، بِحَيْثُ يَكُونُ تَنْفِيذُهُ عَلَى مَشْهَدٍ مِنَ النَّاسِ . وَقَبْلَ أَنْ يُطَوَّقَ عُنُقُهُ بِالْحَبْلِ لَشَنْقِهِ ، سَمِعَ صَوْتَ قَادِمٍ بِشَقٍّ جَمَعَ النَّاسَ وَيَقُولُ :

لَا تَقْتُلُوهُ ، وَإِذَا بِهِ الْمُبَاشِرَ ، وَلَمَّا وَقَفَ أَمَامَ الْوَالِي قَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ، فَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ لِاعْتِرَافِهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ ، لِأَنَّ الْيَهُودِيَّ حَضَرَ إِلَى الْوَالِي وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ الْقَاتِلُ ، فَانْتَقَلَ الْحُكْمُ بِالْقَتْلِ مِنَ الْمُبَاشِرِ إِلَيْهِ ، وَمَا كَادَ رِجَالُ الْوَالِي يَشْرَعُونَ فِي تَنْفِيذِ حُكْمِ الْإِعْدَامِ حَتَّى جَاءَ الْخِيَّاطُ ، فَفَنَى جَرِيْمَةَ قَتْلِ الْأَحْدَبِ عَنِ الْيَهُودِيَّ ، وَنَسَبَهَا إِلَى نَفْسِهِ ، فَأَصْبَحَ الْمُسْتَوْلُ الْأَخِيرَ ، الَّذِي يَنْفُذُ فِيهِ حُكْمَ الْإِعْدَامِ .

وَكَانَ الْأَحْدَبُ نَدِيمَ الْمَلِكِ ، وَلَمَّا غَابَ عَنْ مَجْلِسِهِ سَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ إِنَّهُ مَاتَ ، وَثَلَيْتُ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ، وَكَانَ الْخِيَّاطُ لَا يَزَالُ حَيًّا لَمْ يُقْتَلْ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ فِي الْحَالِ أَنْ يُؤَجَّلَ الْقِصَاصُ حَتَّى يَنْظُرَ هُوَ نَفْسَهُ الْقِضِيَّةَ ، فَنَقَلَ

الأحدبُ إليه ، وسبق الخياطُ واليهودىُ والمباشرُ والنصرانىُ إلى مجلسه ،
وحكى كلُّ منهم ما حصلَ منه ، فالتفتَ الملكُ إلى الحاضرين وقال :
هل سمعتم شيئاً عجيباً كهذا ؟ ! فقال النصرانى : إنَّ أذنَ لى الملكُ
حكيتُ أعجبَ من هذا الحديثِ ، فأذنَ له ، فقال :

أنا قبطىٌّ ، ولدتُ بمصرَ ، ونشأتُ فيها ، وكان والدى وسيطاً
« سمساراً » فلما توفى كنتُ وسيطاً بدله .

وذاتَ يومٍ جاءنى شابٌ راكبٌ حماراً ، وهو أحسنُ ما يكونُ
خلقاً ، وأفخرُ ثياباً ، فأعطاني منديلاً فيه مقدارُ من السمسمِ ، وسألنى عن
ثمنِ الإردبِ منه ، فقلتُ : ثمنُ الإردبِ من هذا السمسمِ مائةُ درهمٍ ، فقال :
بعْتُ بهذا الثمنَ ، فإذا جاء الغدُ فائتنى ومَعك الكيالونُ ، فى الخانِ
المجوسانى ببابِ النصرِ ، وتركَ معى المنديلَ وما فيه ، لأعرضه على التجارِ ،
فبلغَ ثمنُ الإردبِ مائةً وعشرين درهماً .

ولما جاء الغدُ ذهبتُ أنا والتاجرُ والكيالون إلى هذا الشابِ فى
المكانِ المُعينِ ، واشترينا جميعَ ما فى مخزَنه ، وكان خمسين إردباً ، ثم
قال الشابُ لى : احفظِ ثمنَ السمسمِ عندك أمانةً لى ، ولكَ على كُلِّ
إردبِ عشرةُ دراهمٍ ، فبلغَ ربحى من تلكَ الصفقةِ ألفَ درهمٍ وخمسمائةَ ،
ثم ودعته وانصرفتُ مسروراً .

وكان الشابُ يأتينى كلَّ شهرٍ ، فأعرضُ عليه ثمنَ السمسمِ ليأخذه ،
فلا يرضى ويقول : احفظه لى أمانةً عندك . وفى زيارته الرابعة لى

أَقْسَمْتُ عَلَيْهِ أَلَّا يُفَارِقَنِي ، حَتَّى يَتَنَاوَلَ الْغَدَاءَ مَعِي ، فَقَالَ :

عَلَى أَنْ يَكُونَ ثَمَنُ غَدَائِنَا مِمَّا عِنْدَكَ لِي مِنَ النَّقُودِ ، فَقَالَتْ : ذَلِكَ لَكَ ، وَلَمَّا حَضَرَ الطَّعَامَ وَجَدَتْهُ يَأْكُلُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى ، فَانْتَظَرَتْ حَتَّى أَكَلْنَا وَشَرَبْنَا ، ثُمَّ سَأَلَتْهُ :

لَأَيِّ شَيْءٍ أَكَلْتَ بِيَدِكَ الْيُسْرَى ، فَأَخْرَجَ لِي يَدَهُ الْيُمْنَى مِنْ كُمِّهِ ، فَإِذَا هِيَ مَقْطُوعَةُ الْكَفِّ ، فَقَالَتْ هَلْ ذَلِكَ مِنْ سَبَبٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَسَأَقْصُهُ عَلَيْكَ .

قَالَ الشَّابُّ : إِنَّ وَالِدِي مِنْ أَكْبَرِ بَغْدَادَ ، وَقَدْ نَشَأْتُ فِيهَا نَشْأَةً كَرِيحَةً ، وَعَرَفْتُ كَثِيرًا مِنْ مَزَايَا مِصْرَ ، لِكثَرَةِ مَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ مِنَ التَّجَارِ ، فَأَحْبَبْتُ السَّفَرَ إِلَيْهَا ، وَلَمَّا تَوَقَّيَ وَالِدِي جَمَعْتُ كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ الْمَسْجُوتِ الْبَغْدَادِيَةِ وَالْمَوْصِلِيَّةِ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبَضَائِعِ النَّفِيسَةِ ، وَسَافَرْتُ بِهَا إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَأَنْزَلْتُ بِضَاعَتِي هَذِهِ فِي خَانِ سُرُورَ ، وَبَعْدَ لَيْلَةٍ مِنْ قُدُومِي ، أَخَذْتُ بَعْضًا مِنْ بِضَاعَتِي إِلَى قَيْسَرِيَّةِ جَرَجَسَ ، فَلَمْ يَبْلُغْ ثَمَنُهَا رَأْسَ مَا لَهَا ، فَأَشَارَ عَلَى شَيْخِ الْوُسْطَاءِ « السَّمَّاسَةِ » أَنْ أُرِيحَ نَفْسِي ، وَأَبِيعَ بِضَاعَتِي جَمِيعَهَا إِلَى التَّجَارِ ، عَلَى أَنْ أَخْذَ ثَمَنَ مَا يَبِيعُ مِنْهَا عَلَى دَفْعَاتٍ ، مُوَعَّدُهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ ، وَبِذَلِكَ أَسْتَفِيدُ رَاحَتِي وَأَتَمَكَّنُ مِنَ التَّنَقُّلِ فِي الْقَاهِرَةِ ، لِمُشَاهَدَةِ مَبَانِيهَا وَأَثَارِهَا وَمُظَاهِرِ حَضَارَتِهَا ، وَأَكْسِبُ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ رِبْحًا عَظِيمًا ، عَلَى نَحْوِ مَا يَفْعَلُهُ التَّجَارُ الَّذِينَ يَأْتُونَ مِصْرَ مِنَ الْأَقَالِيمِ الْأُخْرَى ، فَفَقَدْتُ إِشَارَتَهُ ،

وجعلتُ أذهبُ إلى دكا كين التجارِ في هذين اليومين ، لأخذَ منهم ما جمعوهُ من ثمنِ بضاعتي .

وجلستُ مرةً في دكانِ بدر الدين البستاني ، فجاءتُ فتاةٌ جميلةٌ ، وطلبتُ منه بعضَ الملابسِ الحريرية ، المطرَّزة بالذهب ، واختارتُ منها ما أعجبَ ذوقها لَوْنًا وجودةً ، وقالت للتاجر :

سأخذُ هذه الملابس وأرسلُ إليك ثمنها مع جاريتي حسبَ عادتي ، فقال :

لا بُدَّ من دفعِ الثمن فوراً ، لأنني مُضطر إلى ثمنها اليوم ، لأعطيَ صاحبها هذا — وأشارَ إلى — ما علىَّ له من أقساطٍ ، فغضبتُ ورمتُ البضاعةَ من يدها وقالت :

هذه عادتكم يا تجار ، لا تُفرِّقون بين الزبائن ، ولا تُحافظون على أقدار الأشراف منهم . ثم قامت

فأحييتُ أن أتعرف مكاتنها من الشرف الذي تدَّعيه ، وعرضتُ عليها الجلوسَ فجلستُ ، وأعطيتها البضاعة التي اختارتها قائلاً :

خُذِي البضاعة وأرسلِي ثمنها متى شئتِ ، فشكرتُ لي هذا الجميل ، وأخذتها وانصرفت ، ثم سألت التاجر بدر الدين عنها بعدَ انصرِفها فقال :

هذه بنتُ أمير ، ماتَ والدُها ، وتركَ لها أموالاً كثيرةً ، فرغبتُ في زواجها ، بعد الاطمئنانِ على أخلاقها وحسنِ سلوكها ، ومقدار تديُّنها .

وجلستُ ثانياً يوم في هذا الدكانِ مُتظراً ما سيكون ، فجاءت الفتاةُ

ومعها جاريتها، وسلمت علينا وأعطيني ثمن البضاعة التي اشترتها بالأمس،
وحاولت أن أترك لها الثمن هدية فلم تقبل وقالت :
لا ينبغي أن تقبل صبية مثلى من شابٍ مثلك هدية قد تكون سبباً
في أن يتحدث الناسُ عنا بما نكره . فقلت لها :

ربما جعلتها سبباً لغرضٍ شريف كالزواج مثلاً ، فقالت : إن الزواج
الذي يشتري بالهدايا حياته قصيرة ، وخاتمته فرقةٌ بغيضة ، وفي استطاعتي
أن أشتري بمالٍ أو جمالي أزواجاً كثيرين ، لا زوجاً واحداً ، ولكن
المرأة الصالحة دينٌ وخلق ، فزادني هذا الحديث تشبهاً بالزواج منها وقلت :
ولقد رغبتُ الآن في زواجك ، فماذا تقوين ؟ فقالت : لقد درستك
وخطبتك لنفسى قبل أن تدرسنى وتخطبنى لنفسك ، وأرجو من الله أن
يجمعه لنا خيراً وبركة ، فسألتها عن بيتها فقالت : في درب المنقرى
بالحبانية ، فإن شئت فأحضر معك المأذون والشهود ، ومن تشاء من
معارفك وأصحابك ، وموعدك ليلة الجمعة القادمة . فاتفقنا على هذا
وسلمت وانصرفت .

وعشنا زوجين متحابين أكثر من ثلاث سنوات ، وبينما أنا سائرٌ
في شارعٍ من شوارع القاهرة ، رأيتُ جمعاً من الناس في ضوضاء ، ومن
حول شابٍ محكومٍ عليه بقطع يده ، لأنه سرق أسورة من سيدة
وأدهشني أن هذا الشاب السارق يشبهني في صورته ، وأنى رأيت بعيني
سيدة في هذا الجمع سرقَت من أخرى أسورة ، وكنت أستطيع أن أنبه

المسروقة ، فأرشد إلى السارقة ، ولكنى لم أنطق بكلمة واحدة ، وبعد لحظة وجدتُ جمعَ الناس هذا يجرى فى ناحية ، فجريت معه محاكاة له ، وإذا بجندى يقبض على يدى ويصيح : قد وجدته ، فوقف الجمع ، والتفت بقية الجند حولى ، وساقونى إلى حيث تُقطع يدى ، بدلاً من الشاب السارق الهارب ، الذى صورته تُشبه صورتي ولكنهم لا يعلمون ، وأعتقد أنى لو نبهتُ إلى سرقة الأسورة ، ما وقعتُ فى هذه المصيبة . وتلك حادثةُ قطع يدى . فقال الملك : لا يزال الموت قريباً منكم ، فقال المباشر : أياذن لى الملك أن أحكى حادثةً غريبة ، فإن أعجبتك عفوت عنا ؟ فقال : أسمعنا تلك الحادثة الغريبة . فقال المباشر :

حصرت وليمة لبعض أصحابى ، وكان على السَّماط كثير من أصناف الطعام ، ومنها طعام الزَّرباجة ، وكانت لذيذة الطعم ، فأكلنا جميعنا منها إلا واحداً ، فإنه امتنع عن أكلها وقال : سأقص عليكم سبب امتناعى ، وشرع يقول :

كان لزيدة زوج هارون الرشيد جارية تُحبها ، وشاء الله أن أتزوجها ، وفى ليلة الدخول بها أكلت زرباجة ، ونسيت أن أغسل يدى منها ، فلما شمت رأتحتها صرخت صرخة عالية ، فحضرت جوارىها سائلات قائلات : ماذا جرى يا سيدتنا ؟

فقالت : هذا الشاب الأحمق أكل زرباجة ولم يغسل يده . فاذهبوا به إلى سيَّاف القصر ليقتله .

فقال كبرى الجوارى وكانت عاقلة معروفة بحسن التدبير: لقد حرم الله قتل النفس إلا بالحق . فقالت اقطعن يده .

فقال كبرى الجوارى : ولا تقطع يدي إلا في قصاص أو سرقة : فقالت اقطعن إبهام يده ، وإلا قتلت نفسي ، فذهبن بي إلى السيف وقطع إبهام يدي اليمنى ، بسبب الزباجة ، فأقسمت بعد ذلك ألا أذوقها مادمت حياً . فقال الملك لا أجد عفو عنكم قريباً منكم . فقال اليهودي : عندي حكاية أغرب وأعجب . فقال : هات ما عندك .

فقال اليهودي : كنت يوماً في الكنيسة ، فوجدت شاباً يبكي بكاء مرّاً ، فأقبلت عليه ، وسألته عن سبب بكائه فقال :

تزوجت بنت غني من الأغنياء ، وعشتُ معها في نعيم ورخاء ، حتى رُزقتُ منها بولد جميل ، وكان لها زوجة أب عقيم فغارت منها وأخذت الولد وادّعت أنه ابنها بحيلة غريبة . فقلت وما تلك الحيلة ؟ فقال : حينما ظهر الحمل في زوجي ادعت زوجة أبيها أنها حاملٌ أيضاً ، واعتكفت في بيتها حتى لا يفتضح أمرُها ، واتفقت هي وبعض جوارىها أن يكون وضعها ليلة وضع زوجي ، على أن يسرقن ما تلده زوجي إليها ، لتدعيه لنفسها ، وذلك حرصاً منها على ثروة زوجها ، حتى تفوز بأكبر نصيب منها ، وقد نفّذت ما دبرت ، وفقدت ولدي ، ولم يبق لي ولزوجي إلا الحزن والبكاء ، فقلت : وكيف عرفت ذلك ؟

فقال : من جوارىها جاريةٌ متدينة ، كُبر عليها أن تسكت عن هذه

الخطيئة ، فأخبرتني بها بعد أن عاهدتها ألا أبوح باسمها ، ولست واعد أن يساعدنني في إرجاع الولد إلى أبيه وأمه ، فقلت له إن الله لا يدع الظالم في ظلمه ، وهو إن أمه له فلن يهمله ، حتى إذا أخذه لم يفلقه . فقال الملك لا يزال الغيظ منكم عللاً صدري

فقال الخياط : سأسمع الملك أعجب شيء سمعه ، إن أذن لي بذلك ، فقال : قل ما شئت ، فإن أعجبني عفوت عنكم . فقال :

كنت في وليمة عند أحد أصحابي ، فدخل علينا صاحب الدار ومعه شابٌ جميلٌ أعرج ، فاستعدت جميعنا لحسن استقباله ، إشفافاً على عرجه ، ولكنه عاجلنا بقوله : استريحوا فإني خارجٌ ، ولن أجلس معكم ، ولن أقيم في مدينتكم ، فأحببنا أن نقف على حاله ، ونعرف سبب نفوره وغضبه ، وأقسمنا عليه أن يجلس ويحكى لنا حكايته .

فقال : كرهت الجلوس معكم ، والمقام في مدينتكم بسبب هذا المزين — وأشار إليه — وقد عامدت نفسي ألا يجتمعني به مكان أو مدينة فزادنا هذا القول حباً في معرفة الحقيقة ، وأقسمنا عليه أن يحدثنا بها ، فجلس وقال :

نشأت في بغداد ، وورثت فيها عن المرحوم أبي مالا كثيراً . انصرفت إلى تنميته بالتجارة ، والاستمتاع به في غير إسراف ولا تكبر ، ولم أفكر في الزواج ، لأنني لم أجده عندي ميلاً إلى النساء ، وكانت كراهيتي لهن غالباً وبينما كنت في زقاقٍ من أزقة بغداد ، لقضاء بعض مصالحى ، أطلت

من نافذة بيت فيه صبيّةٌ ، لم تقع عيني على أجلٍ منها. فأطلت النظر إليها وتمنيت دوامها مطلةً من النافذة ، ولكنّها أقفلتها واختفت ، فرجعت إلى بيتي وأنا مشغولٌ بها وأخبيت أن تكون لي زوجاً ، وإن أنفقت في سبيلها ثروتي ، وكانت تتردّد على بيتي جارةً لي عجوز ، فأخبرتُها أن في البيت الفلاني صبيّةٌ أحب أن أتزوجها ، وسأعطى من يُساعدني في ذلك ما يطمع من مال ، فقالت : هذه بنت قاضي بغداد . وإني أزورها كثيراً وسيكونُ زواجك منها على يدي ، فشكرتها ووعدتها أن أهدى إليها مكافأةً قيّمةً ، وبعد أيامٍ ثلاثة ، جاءني العجوزُ بكلّ خير وقالت : زرت الصبيّة اليوم وأخبرتُها أنني أعرف شاباً متديناً غنياً ، أخلاقه أحلى من الشهد وصورته أجمل من البدر ، ليس له إخوةٌ ولا أخوات ، وأبوه وأمه قد انتقلا إلى رحمة الله ، وليس في بيته ما يغيظ الزوجة ، فيا سعادةً من تكون من نصيبه ، ويا هناءةً من تكون زوجته ، فابتسمت وقالت : أأنتُ يا معشر العجائز ساحرات ، فقلت : ورب الكعبة يا بنتي لا أقول إلا حقّاً ، وأرجو من الله أن يجعلك من نصيبه ، حتى تعرفي إذا كنت صادقةً أو كاذبةً . فقالت : إذا أمكنك فأحضريه هنا لأعرف مبلغَ كلامك من الصديق ، فقلت لها على العين والرأس ، ومتى أحضره ؟

فقالت : إن أبي يخرجُ قبل صلاة الجمعة لزيارة مقابر أولياء الله ، وبعد أن يصلّي الجمعة يعود إلى بيته ، وأستحسن أن يكون حضوره في وقت غيبة والدي من ذلك اليوم ، حتى لا يشعر به أحد ، فربّما كانت حالته على

غير ما وصفت . فقلت : انتظريه في هذا الموعد ، وستكونين مسرورة
ولى عندك مكافأة عظيمة . فقالت لكِ علىَّ إن كنتِ صادقة .

وفي يوم الجمعة المؤؤود أمرتُ غُلامى أن يحضرَ لى من السوق زِينًا
عاقلاً ، قليلَ الكلام ، لأحلقَ رأسى قبلَ أن أذهبَ إليها ، فجاءنى بهذا
المزين الجالس بينكم — وأشار إليه — وقال : السلام عليكم ، فقلتُ :
وعليكم السلامُ ورحمةُ الله ، فقال : أذهبَ اللهُ عنك الهمومَ والأحزان ،
فقلت : تقبلَ الله دعوتك لى ولكِ وللمؤمنين .

فقال : أبشِرْ بالعافية ، أتريدُ حلقاً أم تقصيراً أم حِجامة ؟

فقد قالت العلماء : من قصرَ يوم الجمعة صرفَ الله عنه سبعين داء ،
ومن احتجمَ يوم الجمعة سَلِمَ بصرُهُ وعُوفى من المرض ، فقلت : اتركْ
فضولَ القول ، واحلقْ رأسى ، لأخرجَ إلى عملى ، ففتَحَ مِنديلاً معه ،
وأخرجَ منه « إصْطِرْلاباً » ومضى به إلى صحنِ الدار ، ونظرَ إلى أشعةِ
الشمس قليلاً .

ثم قال : مَضَى من يوم الجمعة هذا ، وهو العاشرُ من شهرِ صفر سنة
ثلاثٍ وستين وسبعمائة من الهجرة — ساعتان ، وطالعُه المريح ، ويدلُ
على أن حَلَقَ الشعرَ حَسَنَ ، وأنتِ مقبِلٌ على شخصٍ سعيدٍ ، ولكنْ
يَقَعُ بعدَ قدومك إليه شىءٌ لا يرضيك .

فقلت : جعلتَ فيها باغراب !! لا تُقلِّقنا بكثرةِ الكلام ، فما
أحضرتكِ إلّا لتحلقِ رأسى .

فقال لو أردتَ الخيرَ لطلبتَ مني المزيدَ ، وأشيرُ عليك — كما يدلُّ
طالعك — ألا تخالفني في هذا اليومَ ، فإنني ناصحٌ وأحبُّ أن أخدمك
سنةَ كاملة

فقلت : إنك قاتلي اليومَ بكثرةِ أغوك وباردِ فُضُولك ، فقال : لست
كثيرَ الكلامِ ، وإن الناسَ يسمّونني الصامت لقلّةِ كلامي ، من دُونِ إخوتي ،
وأخي الكبير يسمى البقبوق ، والثاني الهدار ، والثالث بقبق ، والرابع
الكور الأصواني ، والخامس الفشار ، والسادس الشقالق ، وسابع إخوتي
الصامت ، وهو خادمك ، الذي يُحدثك ، فنفد صبري ، وناديتُ غلامي ،
وأمرته أن يعطيه رُبع دينارٍ على سبيل الإحسان ، ويُخرجه سريماً ،
فلا حاجةَ بي إلى حلقِ رأسي .

فقال المزين : أما تعرفُ منزلتي ؟ إن يدي توضعُ على رؤوس الملوكِ
والأمرء ، فقلت : لقد أتعبتني وضيّعت وقتي . فقال : أظنك تريد الخروجَ
سريماً ، فقلت : نعم .

فقال : تمهلْ ولا تعجلْ ، فإن العجالةَ ، تورث الندامةَ ، وقد قيل : خيرُ
الأمور ما كان فيه التأنّي ، وإنّي الآن أخاف عليك أن يصيبك ضرٌّ أو أذى ،
وأحبُّ أن تطلعنّي على أمرِك ، فربما خرجتَ إلى شيءٍ يضركَ ، ثم أخذ
« الاصطرلاب » وذهب إلى الشمس ، فوقف به مدةً طويلةً ، ثم عاد به .
وقال : لم يبقَ على صلاةِ الجمعةِ إلا ثلاثُ ساعات .

فقلت له : إنك أمرضتني بكثرة كلامك ، فأمسك موسى ، وحلق بعض رأسي .

وقال : إني في همٍّ شديد لهذه العجلة ، وإن أنت أطلعتني على حاجتك التي تريد الخروج إليها كان خيراً لك ، فإن المرحوم والدك ما كان يفعل شيئاً إلا بعد مشورتني ، فلما أيقنتُ ألا مخلص لي منه قلت : دعاني أحد أصحابي إليه ، وقد جاء موعدُ الدعوة

فقال يومك مبارك ، جاءني في البارحة جماعة من أصحابي ، وقد نسيتُ أن أجهز لهم شيئاً يأكلونه اليوم ، وقد ذكرتني بهم الآن ، فقلت : لا يهيك أمرُ إخوانك ، فعندي طعامهم وشرابهم ، إن أنت أنجزت حلق رأسي .

فقال : زادك الله خيراً ونعمة ، فصف لي ما عندك حتى أعرفه ، فقلت : عندي خمسة ألوان من الطعام ، وعشر دجاجات ، وخروف مشوى ، فقال : أحضرها أمامي حتى أراها ، فأمرتُ الغلام فأحضرها ، فقال : وأين الطيب ، فأمرتُ الغلام فأحضر عوداً وعنبراً ومسكا ، ثم أمسك موسى وحلق جزءاً آخر من رأسي .

وقال : أشكر لك فضلك ، ولكن أصحابي لا يستحقون هذا الطعام لأنهم زينون الحمأى ، وصيلع الفسخاني ، وعوكل الفوال ، وعكرشة البقال ، وخميس الزبال ، وعكارش اللبان ، فقلت : أنجز حلق رأسي ، واذهب إلى أصحابك ، واطركني إلى أصحابي .

فقال : أحبُّ أن أجمعك بأصحابي ، لأن حضرتهم لذيذة ، ولو اجتمعت بهم مرة واحدة انسييت من أجلهم جميع أصحابك ، فقلت : سأجعلُ لهم يوماً كاملاً في داري هذه ، فقال : إذا كنت مُصرّاً على أن تذهب إلى أصحابك فانتظرنى هنا حتى أعطى أصحابي هذا الطعام يأكلونه ، وأنا أذهب معك إلى أصحابك ، فقلت : اذهب أنت إلى أصحابك ، ودعني أذهب إلى أصحابي .

فقال : لا أتركك تذهب وحدك ، فقلت : إن المكان الذي أقصده لا يدخله أحد معي . فقال : لعلك ذاهبٌ إلى امرأةٍ أو صبية ، ولو كان الأمرُ غير ذلك لأخذتني معك . فقلت له : ما هذا الكلام ؟ إنك رجلٌ تظنُّ بالناس الظنون — وكان قد جاء وقتُ الصلاة وانتهى من حلق رأسى — اذهب إلى أصحابك ، وأعطهم هذا الطعام ، ثم ارجع وأنا في انتظارك ، لتذهب معي إلى أصحابي .

فقال : إنك تخادعني ، لتذهب أنت وحدك ، فبالله لا تخرج من دارك حتى أعود إليك ، وأمضى معك إلى حيث تريد ، فقلت : على شريطة أن تعود سريعاً ، ولا تبطئ ، فقال : سأعودُ إليك في لمح البصر ، ثم كلفَ الجمال أن يمضى بالطعام إلى بيته ، واختبأ هو في زقاقٍ ، ليتبعني حيث أسير على غير علم مني .

خرجتُ من البيت ، وجعلت أسير ، والمزين من ورأى ، وأنا معتقد

أنه فارقني ، حتى دخلت بيت الصبية ، وكان أبوها القاضي قد انتهى من صلاة الجمعة ، فدخل البيت على أثرى .

وفوجئت الصبية بهذه الحال ، فاضطربت ولم تجد وسيلة تُنجيها إلا إخفائي في صندوق كان عندها ، وشاء القدر أن تَذْنِبَ جارية القاضي ، وعبد من عبيده ، فضربهما ضرباً مُوجِعاً ، وصاحا مُستغيثين ، فظنَّ المزين أنه يضربني ، فجعل يصيح في الزقاق قائلاً :

قُتِلَ سَيِّدِي فِي بَيْتِ الْقَاضِي .

فاجتمع الناس أمام البيت ، مُحمَّد بن ضروء وجَلَّبة ، جعلت القاضي يُسرِع إلى الباب ففتَّحه ، وخرج إلى الناس يسألهم عن سبب اجتماعهم أمام بيته ، ف قيل له :

لقد قتلَ رجُلًا في بيتك . فقال :

ليس في بيتي رجلٌ غريب ، وليس من أهل البيت من أذنب حتى أقتله ، فقال المزين :

إن بنتك تعشق سيدي ، وقد وصل إليها الساعة ، فأمرت غلمانك بقتله فقتلوه ، وإن كنت كذبتني فدعني أدخل البيت وأخرجه ، أمام هؤلاء الناس ، فقال القاضي :

إن كنت صادقاً فادخل البيت وأخرج سيدي .

فدخل المزين وقصد المكان الذي فيه الصندوق ، فلما لم يجدني حمل الصندوق الذي اختبأت فيه ومضى به ، فلم أجِدْ مَفْرَأً من الخروج .

منه ، فوثبتُ مُذَقِّياً بنفسي على الأرض فكسرتُ رِجْلِي ، ثم مشيتُ بها
 كالأعرج إلى الباب في ألم شديد ، وكانَ مَعِيَ صُرةٌ من الدنانير ، فجعلتُ
 أُلْقِي مِنْهَا هُنَا وَهُنَاكَ ، فَشُغِلَ النَّاسُ عَنِّي بجمع الدنانير ، حتَّى أنسلتُ من
 بينهم ، ومشيتُ إلى دَارِي ، كلَّ أولئك والمزِين يَنْبَعْنِي وَيَقُول : لقد
 مِنَّ اللهُ عَلَيْكَ بِمُصَاحَبَتِي ، ولولاها لكنتُ الآنَ من الهالكين ،
 فاستجرتُ مِنْهُ بِصَاحِبِ دُكَّانٍ في سُوقِ المَدِينَةِ فَطَرَدَهُ ، وحالَ بينه
 وبينِي ، وعزمتُ ألا أُقِيمَ في مَدِينَةٍ يقيم فيها هذا المَزِين ، ووصيتُ بِمَا لِي
 أَحَدَ أَقَارِبِي ، وسافرتُ إلى مِصْرَ ، وأقمتُ فيها مدة .

ولما دُعيتُ اليَوْمَ إلى مُجْلِسِكُمْ وجدتُ فيه هذا المَزِين ، فحاولتُ
 الْفِرَارَ مِنْ وَجْهِهِ ، فالتفتَ الجالسون إلى المَزِين قَائِلِينَ : أَصَحِّحُ مَا سَمِعْنَا
 عَنْكَ ؟ فقال : لَوْ لَا مَا فَعَلْتُهُ لَكَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ ، وَإِنِّي لَأَسْتَحِقُّ مِنْهُ
 شُكْرًا جَمِيلًا ، ولو كنتُ كثيرَ الكلامِ كما يَقُولُ مَا فَعَلْتُ مَعَهُ هَذَا
 الصَّنْعَ الْجَمِيلَ ، وسَأَقْصُّ عَلَيْكُمْ قِصَّةَ تَعْرِفُونَ مِنْهَا أَنِّي قَلِيلُ الْكَلَامِ ،
 وَلَا أَحِبُّ اللَّغْوَ وَالْفُضُولَ .

فَقَدَّ غَضِيبَ الْمُنتَصِرِ بِاللَّهِ خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمًا عَلَى عَشْرَةِ رِجَالٍ ،
 وَأَمَرَ وَالِيَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِهِمْ ، فَرَأَيْتَهُمْ وَهُمْ يَرْكَبُونَ الزَّوْرَقَ إِلَى الْخَلِيفَةِ ،
 فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَا بُدَّ أَنْ يَكُونُوا ذَاهِبِينَ إِلَى وَلِيْمَةٍ ، فَرَكِبْتُ مَعَهُمْ ،
 وَبَعْدَ بُرْهَةٍ وَضَعَ أَغْوَانُ الْوَالِي الْقِيُودَ فِي أَيْدِيهِمْ كَمَا وَضَعُوهَا فِي يَدِي ،
 لِأَنَّهُمْ حَسَبُونِي مِنْهُمْ ، وَلَمَّا كُنَّا أَمَامَ الْمُنتَصِرِ أَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِ الْعَشْرَةِ ،

فاما انتهى السَّيَّاف مِنْ قَتْلِهِمْ وَقَفَ يَنْتَظِرُ أَمْرَ الْخَلِيفَةِ ، فَقَالَ لَهُ لِمَ لَمْ تَضْرِبْتَ عُنُقَ الْعَاشِرِ؟ فَقَالَ : قَدْ ضَرَبْتُ أَعْنَاقَ عَشْرَةِ رِجَالٍ ، فَأَمَرَ بَعْدَهُمْ فَوَجَدَهُمْ عَشْرَةَ ، ثُمَّ سَأَلَنِي : مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَقِفَ سَاكِتًا ، وَلَا تَدْفَعُ عَنْ نَفْسِكَ مَوْتًا مُحَقَّقًا ؟ فَحَكَيْتُ لَهُ حِكَايَتِي مَعَهُمْ ، ثُمَّ قُلْتُ وَذَلِكَ لِأَنِّي رَجُلٌ عَاقِلٌ حَكِيمٌ ، لَا أَمِيلُ إِلَى كَثْرَةِ الْكَلَامِ ، وَلَسْتُ كِإِخْوَتِي الَّذِينَ مِنْ كَثْرَةِ فُضُولِهِمْ أُصِيبُوا بِعَاهَاتٍ ، فَهُمْ الْأَعْرَجُ وَالْمَفْلُوجُ وَالْأَعْمَى وَالْأَعْوَرُ وَمَقْطُوعُ الْأُذُنَيْنِ وَمَقْطُوعُ الشَّفَتَيْنِ وَالْكَلِّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ حَدِيثٌ عَجِيبٌ ، فَإِنْ شِئْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثْتُكَ بِحَدِيثِهِمْ أَجْمَعِينَ :

أَمَّا الْأَوَّلُ وَهُوَ الْأَعْرَجُ فَقَدْ كَانَ خِيَّاطًا فِي دُكَّانٍ مِنْ دَارٍ اسْتَأْجَرَهُ مِنْ رَجُلٍ غَنِيٍّ يَسْكُنُ هُوَ وَزَوْجُهُ فِي الطَّابَقِ الثَّانِي مِنْ تِلْكَ الدَّارِ ، وَكَانَ بِهَا طَاحُونَةً يَقُومُ بِالْإِشْرَافِ عَلَى إِدَارَتِهَا عَامِلٌ بِأَجْرَةٍ شَهْرِيَّةٍ ، وَذَاتَ يَوْمٍ جَلَسَ أَخِي هَذَا أَمَامَ دُكَّانِهِ يَخِيْطُ الشِّيَابَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَوَجَدَ زَوْجَةَ صَاحِبِ الدَّارِ مُطْلَةً مِنَ النَّافِذَةِ ، فَأُطَالَ فِيهَا النَّظَرَ ، وَأَشَارَ إِلَيْهَا إِشَارَةً سُوءَ ، فَاخْتَفَتْ فِي الدَّارِ غَاضِبَةً ، وَلَمَّا حَضَرَ زَوْجُهَا شَكَتْ إِلَيْهِ مَا حَصَلَ مِنْ أَخِي الْخِيَّاطِ ، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ ، فَدَعَاهُ إِلَى بَيْتِهِ لَيْلًا ، فَظَنَّ أَخِي أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ مِنْ تَدْبِيرِ زَوْجَتِهِ ، لِتَتِمَّكَنَ مِنَ الْاجْتِمَاعِ بِهِ ، فَفَرِحَ وَأَجَابَ الدَّعْوَةَ ، وَلَمَّا دَخَلَ الدَّارَ سَلَّمَ صَاحِبُهَا إِلَى عَامِلِهِ بِالطَّاحُونَةِ ، وَوَصَّاهُ أَنْ يَكْفُلَهُ إِدَارَتَهَا حَتَّى الصَّبَاحِ ، وَرَبَطَ الْعَامِلُ أَخِي فِي الطَّاحُونَةِ ، وَجَعَلَ يَسُوقُهُ وَيَضْرِبُهُ ، حَتَّى أَشْبَعَهُ ضَرْبًا وَتَعَذِيبًا ، وَفِي



الصباح أَخَذَهُ صاحبُ الدارِ إلى الوالى ، وشَكَكَ إِلَيْهِ ما فعله ، فَضَرَبَهُ الوالى وأَرْكَبَهُ جَمَلًا وَأَمَرَ أَنْ يَطُوفُوا بِهِ فى أُنْحَاءِ المَدِينَةِ ، لِيَنَالَ خِزْمَى الفُضِيحَةِ ، وفى أَثناءِ طَوافِهِمْ بِهِ وَقَعَ مِنْ فَوْقِ الجَمَلِ فَكْسِرَتْ رِجْلُهُ ، وَأُصِيبَ بِالمرَج ، وَقَدْ عَطَفْتُ عَلَيْهِ وَأَسْكَنْتُهُ مَعى فى دارى ، وَقُمْتُ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِ إلى الآنَ ، فابْتَسَمَ الخَلِيفَةُ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ ، فَقُلْتُ : وَلَنْ أُسْكِنَ حَتَّى تَسْمَعَ مَنِى الْأَحَادِيثَ عَنْ بَقِيَّةِ إِخْوَتى وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَلَا تَحْسِبَنَّ أَنِّى كَثِيرُ الْكَلَامِ ، فَقَالَ فَرَحْنَا بِحَدِيثِكَ اللَّذِيذِ . فَقُلْتُ :

وأما أَخِى الثَّانِى وَهُوَ المَفْلُوجُ فَكَانَ مَاشِيًا يَوْمًا فى شَوَارِعِ المَدِينَةِ ، فَقَابَلَتْهُ عَجُوزٌ وَقَالَتْ لَهُ : أَلَا تُحِبُّ أَنْ تَكْسِبَ ثَوَابًا عَظِيمًا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَتْ : خُذْ بِيَدِى يَا وَلَدِى حَتَّى أَصِلَ إِلَى دَارِى ، وَاللَّهِ يُعَافِيكَ وَيَقْوِيكَ ، فَأَمْسَكَ يَدَهَا وَسَارَ بِهَا حَتَّى أَوْصَلَهَا إِلَى دَارِهَا ، فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ الدَّارَ وَيَشْرَبَ الْقَهْوَةَ ، فَلَمَّا دَخَلَهَا وَجَدَ عَبْدًا أَسْوَدَ طَوِيلَ الْقَامَةِ ، مَفْتُولَ المِصْرَلَاتِ عَرِيضَ المِصْدَرِ مُخَيَّفَ الطَّلَعَةِ ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ المَعْجُوزُ بِإِشَارَةٍ فَهَمَّهَا وَلَكِنْ أَخِى لَمْ يَفْهَمْ مِنْهَا شَيْئًا ، فَأَخَذَهُ إِلَى حُجْرَةٍ لَيْسَ فِيهَا نَافِذَةٌ ، وَهُنَاكَ سَلَبَهُ نَقُودَهُ وَحَلَقَ لَهُ رَأْسَهُ وَحَوَّاجَبَهُ وَشَارِبَهُ ، وَخَافَ أَخِى أَنْ يُصَابَ بِأَذَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَتَوَسَّلَ إِلَى الْعَبْدِ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِإِطْلَاقِ سَرَاحِهِ ، فَأَخَذَهُ الْعَبْدُ إِلَى بَابِ الْبَيْتِ وَدَفَعَهُ إِلَى الزَّقاقِ ، فَفَرَّ أَخِى وَهُوَ يَرْتَعِدُ فَزَعًا وَرُعْبًا ، وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ لَا يَكْأَدُ يُصَدِّقُ بِنَجَاتِهِ ، وَأَصَابَهُ الفَالجُ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : زِدْنَا مِنْ حَدِيثِكَ ، فَقَالَ : وَمَا كُنْتُ

لأسكتَ حتى أذكر الملكِ حوادثِ إخوتى جميعهم ، وسأبدأ الآن فى
حادثة أخى الثالث .

كان أخى الثالثُ أعمى ، فقيراً شحاذاً ، طرق يوماً بابَ غنى من
الأغنياء ، فأطلَّ عليه من نافذةٍ فى الطابق الثانى وقال : مَنْ بالباب ؟
فقال أخى : رجلٌ يُريدُكَ فى شىء يسير ، فنزلَ إليه وسأله عما يُريدُ ،
فقال : أعطنى شيئاً أقتاتُ به ، فقال له : تفضل ، وأخذه معه ، وصعد به
إلى الطابق الثانى ، ثم قال له : سهِّل الله لك ، فقال أخى أتعبتني بالصعود
إليك ، فلمَ لمَ تقلْ ذلك وأنا بباب بيتك ؟ فقال الغنى : وأنت أتعبتني
بالنزولِ إليك ، فلمَ لمَ تسألنى وأنا فى حُجرتى من الطابق الثانى ؟ فقال
أخى : انزلْ معى إلى الباب ، فقال : مِنْ ورائك سَلَمُ البيت ، فانزل
وخذك سَريعاً وإلا ضربتك . فنزلَ أخى وخذَه ، وفى الدرجة السفلى من
السَلَمِ زَلَّتْ رِجلُه ، فوقع على وَجْهِه ، ثم نهض مُتألماً ، وخرج من البيت
مغموماً ، وكان له رُفقاء ثلاثة عُمى ولهم مكانٌ يجمعُهُم ، ويضعون فيه
ما يجمعُونه من الشحاذة ، وهُم شُرَكَاءُ فيما يجمعون ، فقال فى نفسه :
أستريحُ اليومَ ، وأذهبُ إلى رُفقاءى ، فأخذ شيئاً مما جمعناه ، أقتاتُ به
فى يومى هذا ، وسارَ ومنْ خلفه ذلكَ الغنى يتبعُه حيثُ سارَ ، ولما
دخل أخى الدار التى له ولرُفقاءه دخل الغنى من ورائه خفيةً ، ليرى ماذا
يصنع هذا الأعمى ، ثم اختبأ فى مكانٍ بحيث يرى منه أخى ورُفقاءه
ويَسْمَعُهُم وهُم لا يشعرون .

سلم أخى على رفقائه وسلموا عليه ثم قالوا : ما فعل الله بك صبيحة هذا اليوم ؟ فقال : طرقتُ بابَ غنيٍّ سخيِّف ، لا بارك الله في ماله ، ثم حكى لهم ما حصل له ، وقد عزمتُ على ألا أتسوّل هذا اليوم ، فأعطوني شيئاً مما جمعناه ، آكلُ منه إلى غد ، فأحضروا بينهم ما جمعوه ، فوجده الغنى ما لا كثيراً ، وعلم من حديثهم أن مقدارَه عشرة آلافِ درهم ، ثم ناولوا أخى شيئاً منه ، ودفنوا الباقي في مكانه ، ثم أنسل الغنى خارجاً وهو يقولُ في نفسه : لو كان هؤلاء الناس كرماء على أنفسهم مارضوا بالشحاذة وعندهم شئٌ من المال . فقال الخليفة أتحبُّ أن نُعطيك جائزة وتفارقنا ؟ فقلت : لا أفارقك حتى أسردَ ما بقي من حوادثِ إخوتي .

وهذا رابعهم الأعور ، ففد كان من كبار الجزارين ببغداد ، وزبائنه الأعيان الوجهاء ، ورَبِح من الحرارة ما لا كثيراً ، فاشتري الأطيان والعييد والجوارى . وذات يوم جاءه شيخ كبير ، واشتري منه لحماً ، وأعطاه ثمنه ، دراهم من فضة بَراقةٍ لامعة ، فاعتزَّ بها وحفظها في صندوقٍ وحدها ، وجعل ذلك الشيخ يشتري منه لحماً ، ويعطيه الثمن من تلك الفضة ، وأخى يحفظها وحدها مدة خمسة أشهر . ولما فتح الصندوق بعد هذه المدة وجد الدراهم ورقاً أبيض فدهش وحزن ، ثم عرض أمرَ هذا الشيخ ودراهمه على كثيرٍ من الناس ، فدهشوا وقالوا : إذا جاءك الشيخ فأمسكه وامض به إلى الوالى . فلما جاءه واشتري اللحمَ كماداته وأعطى أخى الفضة البراقة — أمسكه أخى ونادى الناس والأصحاب ، ليُساعده على

المضى به إلى الوالى ، فقال الشيخ لأخى : إنك جزارٌ لاذمةً لك ولا دين ،
لأنك تذبجُ الناس وتبيع لحومهم ، على أنها لحومٌ غنم ، فقال : إن كنتُ
فعلتُ هذا فمالي ودى حلالٌ لك ، فالتفت الشيخُ إلى من حوله من الناس ،
وأمرهم أن يدخلوا الدكان ليروا لحوم الناس مُعلقة ، فدخلوا الدكان
ووجدوا إنساناً مذبوحاً معلقاً ، فهجموا على أخى ضرباً وسباً ، وهُمُوا أن
يذهبوا به إلى الوالى ، ولكنه استطاع أن يفرّ منهم ويهرب إلى مدينةٍ
أخرى ، وفيها اشتغل بالسُّكافة ، حتى لا يعرفه أحد ، وكان يجلسُ في
الشوارع ، وعلى أفواه الأزقة ، يُصالح الأحذية القديمة .

ومرّ به حاكم المدينة وهو خارجٌ إلى الصيد ، ومعه غلمانُه وجُنودُه ،
فأما وقع نظره عليه تشاءمَ وغَضِبَ ، وعاد إلى بيته ، بعد أن أمر غلمانَه
بضرب أخى .

وسأل أخى عن سبب صربه ، من غير ذنبٍ فعله ، فقيل له : إن
حاكم المدينة يتشاءم من العور ، وبخاصةٍ إذا كان في العين اليسرى ، وقد
كنت في طريقه وهو خارجٌ إلى الصيد ، فتشاءم وعكرت عليه صفو
يومه ، وهو الذى أمر بضربك ، ولو اشتد به الغضبُ لأمر بقتلك .

خاف أخى أن يعيش في هذه المدينة الظالم حاكمها ، فرحل إلى
غيرها ، وكان وصوله إليها بعد الغروب ، فأخذ يعشى في شوارعها
وأزقتها ، ليجد له مكاناً يبيت فيه ، وبعد التعب رأى باباً مفتوحاً فدخله ،
فألقى دهنلاً طويلاً فسار فيه ، ليلتقى بأحدٍ يسأله المبيت عنده ، وإذا

برجلين يسكانه ويقولان له : وقمت في أيدينا يا ملعون ، أنت الذي حرمت علينا لذيذ النوم ، ثلاث ليالٍ متواليات ، وتريد سرقة أموالنا ونحن نائمون ، فضحك أخى وقال : أصبحنا إخوة في الألم ونكد المعيشة ، وإن سمعتم قصتي منحتهمونى شفقتكم وإكرامكم حتى الصبح ، فقالوا : وما قصتك يا هذا ؟ فحكى لهم ما جرى إلى أن كان بين أيديهم ، فمجبوا وأضافوه عندهم حتى الصبح ، ثم رجع إلى بلده تخطفا في شيخوخته ولحيته الكثيفة المرسله ، وحرقة السكافة الجديدة ، ولا يزال مقيما فيها ، يعرف الناس ولا يعرفونه . فقال الخليفة : لعل هذا آخر حديثك ؟ فقال : لا يزال لحديثي بقية ، وسأسمعك قصة أخى الخامس .

ورث أخى الخامس عن أبيه مائة درهم ، فاشتري بها أوعية من زجاج ، ووضعها في قفص ، وجعل يتجول بها في الحارات ، ينادى لبيعتها .

وفي يوم اشتد حره جلس في ظل ظليل ، ووضع القفص أمامه ، وطفق يفكر في حاله ، وساورتها الأمانى التى كثيرا ما تداعب كل فقير مثله ، فأطلق العنان لخياله ، وقال في نفسه :

سأبيع هذه الأوعية بمائتى درهم ، ثم أشتري بثمنها أوعية زجاجية أخرى ، فأبيعها وأربح ربحا كثيرا ، ولا أزال أشتري وأبيع وأربح حتى أحصل على مال كثير أشتري به أغنزا وشياها ، ثم أبيعها وأشتري بثمنها ضيعة واسعة ، ويوتا كثيرة ، ثم أتزوج فتاة من أغنى البيوت ،

وأجعلها بمالي ، تحت أُمري وطاعتي ، وسيهبُ الله لي منها غلاماً ،
أُرسله إلى المدرسة حين يبلغُ من العمر سَبْعاً ، وإذا رفض الذهاب إليها
يوماً ، أو أذنبَ ذنباً يستحقُّ من أجله التأديب ، رفسُته برجلي هكذا ،
وضرب القفص الذي أمامه ضربةً قوية ، فتدحرج وانكسر ما فيه من
الأوعية الزجاجية .

فاستيقظ من خياله ، فوجده قد ضيَّع جميع ثروته ، برفسةٍ شاردةٍ
من رجله ، وأصبح لا يملك شيئاً ، فندم وقال :
توهَّمتُ أني غنيٌّ ، فاستكبرتُ على عبادِ الله ، فعاقبني الله بالفقر
والحرمان ..

وبينما هو جالسٌ ، يُساوره ندمٌ وبُؤسٌ ، إذ مرَّت به امرأةٌ في
جمعٍ من جواربها فوجدتهُ كثيراً حزيناً ، فسألت عن حاله ، فقيل :
تاجرٌ وضع رأس ماله في هذه الأوعية الزجاجية ، وانكسرت وخسر
بذلك ماله ، وصار فقيراً لا يملكُ شيئاً ، وقد جلس في بُؤسه وغمّه
يندُبُ حظه .

فمطقت عليه ، وأمرت جاريته أن تُعطيه كيسَ نقودٍ مما تحمله ،
فشكر لها جميل صنْعها ورجعَ إلى بيته ، وهناك فتحَ الكيس فوجدَ فيه
خمسمائة دينار ، فسكاد يطيرُ فرحاً .

وبينما هو في سروره هذا إذ بالباب يطرقة طارق ، ولما فتحة وجدَّ
عجوزاً فقالت له :

إِنَّ وَقْتَ الصَّلَاةِ قَدْ قَرُبَ ، وَإِنِّي بَغِيرُ وُضُوءٍ ، فَهَلْ تَدْخُلُنِي بَيْتَكَ
لَا تَوْضَأَ ، فَقَالَ لَهَا :

أَفْضَلِي ، وَتَوَضَّئِي ، وَصَلِّي ، وَاسْتَرِيحِي ، فَابْيُتِي بَيْتَكَ ، وَأَنَا ابْنُكَ
وَعَادِمُكَ . فَقَالَتْ :

أَكْرَمَكَ اللَّهُ يَا وَلَدِي ، وَلَمَّا تَوَضَّأْتَ وَصَلَّاتَ رَكْعَتَيْنِ جَعَلْتَ تَدْعُو
لِأَخِي وَتَشْكُرُهُ ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا بِدَيْنَارَيْنِ ، فَامْتَنَعَتْ قَائِلَةً :

أَبْعِدْ عَنِّي نَقُودَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الْمَزِيدَ فَأَرْجِعْهَا إِلَيَّ الَّتِي أَهْدَيْتَهَا
إِلَيْكَ ، فَإِنَّهَا مَا فَعَلْتُ ذَلِكَ إِلَّا لِتُعْقِدَ الْعَلَاقَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَكَ ، وَحِينَئِذٍ
تَسْتَمْتِعُ بِهَا لَهَا وَجَمَالُهَا ، فَقَالَ :

وَكَيْفَ أَصِلُ إِلَيْهَا وَأَنَا لَا أَعْرِفُهَا ؟ فَقَالَتْ : إِنْ أَرَدْتَ الْآنَ جَمْعَتِكَ
بِهَا ، فَفَرِّحْ أَخِي وَقَالَ :

وَلَاكَ عِنْدِي مَكَافَاةٌ قِيَمَةٌ :

وَمَشَتْ الْعَجُوزُ وَمَشَى وَرَاءَهَا أَخِي ، حَتَّى وَصَلَتْ بِهِ إِلَى بَابٍ كَبِيرٍ ،
فَطَرَقَتْهُ فَانْفَتَحَ ، وَدَخَلَتْ وَأَخَى مَعَهَا ، وَسَارَا فِي دِهْلِيزٍ طَوِيلٍ يَنْتَهِي
إِلَى حُجْرَةٍ مَفْرُوشَةٍ بِأَثَاثٍ فَاحِرٍ ، فَأَجْلَسَتْهُ فِيهَا ثُمَّ مَضَتْ .

وَمَا لَبِثَ أَخِي غَيْرَ قَلِيلٍ حَتَّى جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ ، فِي ثِيَابِهَا الْحَرِيرِيَّةُ ،
وَنَاقِلَتُهُ شَرَابًا حُلُومًا ثُمَّ انْصَرَفَتْ ، وَبَعْدَ بُرْهَةٍ مِنَ الزَّمَنِ دَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدٌ
أَسْوَدٌ ، وَفِي يَدِهِ سَيْفٌ مُصَلَّتٌ ، فَأَخَذَ مِنْهُ كَيْسَ نَقُودِهِ ، وَقَطَعَ
بِالسَّيْفِ أُذُنَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفَ .

أدرك أخى خطورة الموقف قماوت ، وجاءت جارية ومعهما شئ
وضعتهُ على جُرحه ، فوقف الدّم عن نزيفه ، ثم أحضرت جاريتين ،
حملتاها إلى حجرة أخرى بها أشخاص ميّتون .

ولما جاء الليل نهض أخى ، وفكّر في حيلة يُنجو بها ، فوجدَ في
الحجرة نافذة مُحكمة الإغلاق ففتّحها ، وفرّ منها إلى الشارع هارباً ،
ومكث في بيته حتى برئ من جُروحه . وكان يجرى عليه رزقه من
أيدي المحسنين .

أراد أخى أن ينتقم من المعجوز والعبد الأسود ، فتنكر وأحضر
سيفاً ماضياً ، وكيساً ملاء قطعاً زجاجية صغيرة ، وقابل المعجوز في
في الطريق فقال لها :

هل عندك ميزان أزنُ به هذا الكيس من النقود ؟

ففرحت وقالت : الميزان يا ولدى عندى في البيت ، فهيا بنا إليه ،
أزن نقودك ثم ذهبت به إلى تلك الدار ، وأجلستهُ في الحجرة المفروشة
بالأثاث الفاخر ، والتي ضربهُ العبدُ فيها بسيفه .

ولما جاءه العبد كمادته بأدره أخى بسيفه فأوقعه قتيلاً ، ثم خرج
من الحجرة إلى المعجوز فقال :

هل تعرفينى ؟ فقالت : لا أعرفك يا ولدى ، فقال :

أنا الذى توصّلتِ وصليتِ في بيته ، ثم خدعتنى وجئتِ بى إلى هذا
البيت ، وعاجلها بسيفه فقتلها .

أما المرأة الجميلة فإنه أحضرها وسألها : مَنْ أَنْتِ ؟ ولماذا تفعلين
بالناسِ هذا ؟

فقلت : أنا بنتُ تاجرٍ من الأغنياء ، واحتالتُ على هذه العجوز ،
وحبستني في هذه الدار ، عندَ ذلك العبد الأسود ، وجعلت العجوزُ تأتي
بالناسِ واحداً واحداً ، وهذا العبدُ يقتلهم ويأخذ أموالهم ، حتى مُلئتُ
هذه الدار بالناسِ وأموالهم ظمأً وعدواناً .

والحمدُ لله الذي جعل خلاصي من هذه العجوز وذلك العبدِ على
يديك ، فإن أحببت أن تبقيني على أن أكونَ زوجاً لك ، وتنقلَ هذه
الأموال إلى بيتك ، كان ذلك خيراً لي ولك ، وما عليك إلا أن تخرج
وتحضرَ رجالاً يقومون بنقل هذه الأموال إلى بيتك ، لنغادرَ تلك الدار
التي كلُّها ظلمٌ وعدوان .

فاطمأن أخى إلى قولها ، وخرج ليحضرَ الرجال ، ولما جاء بهم لم
يجد المرأة ، ولم يجد الأموال ، فخرج من الدار كل سيف البال نادماً .
ولو سمعت أيها الملك قصة أخى السادس لدهشتُ ونجيت ، فقال :
ليس لليأس منك مجال ، ولم يبق من حديثك إلا قليل ، فحدثنا بما
تريد . فبدأ يقول :

وهذا أخى السادس فقيرٌ لا عملَ له ، يجري إليه رزقه من سُبُل
الإحسان والمُؤنة ، رأى في طريقه وهو سائر ، داراً أمامها خدم ، عليها
سماتُ الغنى والمهابة ، فسأل عن صاحبها ، فقيل :

إنها لأحد أبناء الملوك ، فسأل حُرَّاسَ الباب ، هل يمكنُ لصاحبِ
هذه الدار أن يُحسِنَ إلىَّ بشيءٍ من المال ؟ فقالوا له :

ادخل فإنك واجدٌ ما تُحب ، فمشى في طريق طويل ، إلى أن وصل
إلى قصر جميل ، وسطَ حديقةٍ مختلفة الأزهار ، تُعطرُ أجواءها الرائحة
الذكية ، ووجد في مدخل القصر رجلا ، بشَّ الوجه ، جميل اللحية ،
فلما رأى أخى قادمًا إليه نهضَ وحيَّاه ، وسأله عن حاله ، فقال أخى :
فقرٌ لا أملكُ شيئًا ، وفي حاجةٍ إلى شيءٍ من المال ، أقضى به حاجتى
فأسفَ الرجل وقال :

كيف أكونُ حيًّا في بلد يشكوفيه إنسانٌ جوعًا وفقرًا ؟ !
تفضل اجلس حتى أعطيك المال الذى يكفينى شرَّ الحاجة ، ولعلك
جائعٌ الآن ، فقال أخى :

نعم ، فأمر غلمانهُ أن يُحضروا فى الحالِ مائدة ، فجعلوا يجيئون
ويذهبون ، كأنهم يُعدُّونها ، ثم أخذنى وجلسنا أمام المائدة الموهومة
وجعل صاحبُ القصر يحرِّك شفتيه وماضيغيه ، كأنه يأكل ، ويقولُ لى
كُلْ فإنك جوعان ، فكان أخى يُحاكيه فيما يفعل ، كأنه أيضًا
يأكل ، وجعل صاحبُ القصر يطلبُ من غلمانِهِ أصنافَ الطعام ،
صنفًا بعد صنف ، وهم يغدون ويروحون كأنهم يُحضرون هذه الأصناف
ولا يرى أخى منها شيئًا ، وأخيرًا قال أخى :

كفى فقد شبعْتُ . فقال صاحبُ القصرِ :

خُذْ هَذَا الْقَدَحَ مِنَ الشَّرَابِ فَإِنَّهُ لَذِيذٌ ، وَلَيْسَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ يَنْأُولُهُ
فَمَدَّ أَخِي يَدَهُ كَأَنَّهُ يَأْخُذُهُ ، وَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى فَمِهِ كَأَنَّهُ يَشْرِبُهُ . ثُمَّ قَالَ
صَاحِبُ الْقَصْرِ :

أُظُنُّ هَذَا الشَّرَابَ قَدْ أَعْجَبَكَ ؟ فَقَالَ أَخِي :

مَا شَرِبْتُ أَلَّذِي مِنْهُ فِي حَيَاتِي ، فَقَالَ :

هَنِيئًا مَرِيئًا ، وَأَرَادَ أَخِي أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِ الْقَصْرِ جَزَاءَ سَخَرِيَّتِهِ
بِالضِّيَوفِ ، فَأَظْهَرَ أَنَّهُ سَيَّكِرُ مِنَ الشَّرَابِ ، وَرَفَعَ يَدَهُ وَلَطَمَ وَجْهَهُ ، ثُمَّ
اتَّبَعَ اللَّطْمَةَ بِأُخْرَى ، فَقَالَ صَاحِبُ الْقَصْرِ :

مَا هَذَا أَيُّهَا السَّافِلُ ؟ فَقَالَ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَيْفُكَ الَّذِي أَطْعَمْتُهُ ،
وَأَسْقَيْتُهُ الْخَمْرَ فَسَكِرَ ، فَلَا تُؤَاخِذْنِي فَإِنِّي سَكِرَانٌ لَا أَعْيِ مَا أَفْعَلُ ،
فَضَحَكَ صَاحِبُ الْقَصْرِ وَقَالَ :

إِنِّي لِي زَمَنًا طَوِيلًا أَسْخَرُ مِنَ النَّاسِ ، فَمَا رَأَيْتُ فِيهِمْ مِثْلَكَ صَاحِبَ
ذِكَاةٍ وَفِطْنَةٍ ، وَلِهَذَا عَفَوْتُ عَنْكَ ، وَجَعَلْتُكَ نَدِيمِي وَصَاحِبِي ، ثُمَّ أَمَرَ
صَاحِبُ الْقَصْرِ بِإِحْضَارِ الطَّعَامِ فَأَكَلَا وَشَرِبَا ، وَاسْتَمْتَعَا بِغِنَاءِ الْجَوَارِي
وَعَزْفِ الْمَوْسِيقَى ، وَلَبِثَا عَلَى هَذِهِ الْمَتْنَعَةِ مَدَّةَ الزَّمَانِ ، حَتَّى مَاتَ الرَّجُلُ
وَاسْتَوْلَى السُّلْطَانُ عَلَى أَمْوَالِهِ ، وَخَرَجَ أَخِي مِنَ الْمَدِينَةِ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا .

وَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ فِي طَرِيقِهِ ، قَابَلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ قَطَّاعِ الطُّرُقِ ، فَأَسْرَوْهُ
وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَفْتَدِيَ نَفْسَهُ بِالْمَالِ ، فَأَقْسَمَ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا ، فَأَخْرَجَ
شَيْخُهُمْ سَكِينًا حَادَّةً وَقَطَعَ بِهَا شَفْطَيْهِ ، حَتَّى يَعْتَرِفَ وَيُعْطِيَهُمُ الْفَدْيَةَ ،



ولكنه لم يكن معه شيء من المال يدفعه . فلما يئسوا منه حملوا أميتهم وارتحلوا ، وتركوه وحده ، يُعالجُ آلامَ قطع شفتيه ، ثم رجع إلى بلده . وهذه أيها الخليفة أخبار إخوتي ، رأيتُ من الواجب أن أُطِيعك عليها ، فقال الخليفة :

إِنَّكَ مُزِينٌ حَقًّا ، وَمَا أَكْثَرَ صَمْتِكَ ، وَأَقَلَّ كَلَامِكَ ، وَلَكِنْ أَخْرَجَ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، وَابْحَثْ لَكَ عَنْ مَدِينَةٍ أُخْرَى ، تَسْكُنُ فِيهَا . فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ يَسْكُنَ مَدِينَتِي إِلَّا مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ ، وَقَلَّ صَمْتُهُ .

قال المزين : نَخَرَجْتُ لِسَاعَتِي ، وَسَكَنْتُ فِي مَدِينَةٍ تَبْعُدُ كَثِيرًا ، وَلَمَّا مَاتَ الْخَلِيفَةُ رَجَعْتُ إِلَى مَدِينَتِي وَسَكَنْتُ فِي بَيْتِي ، حَتَّى التَّقِيتُ بِهَذَا الشَّابِّ ، فَأَقْدَمْتُهُ مِنْ قَتْلِ مُحْتَمٍ ، وَكَانَ عَرَجُهُ بِسَبَبِي فِدْيَةً لِنَفْسِهِ . . .

وقال الخياط : فَلَمَّا عَرَفْنَا أَنَّ الْمَزِينَ كَثِيرَ الْقَوْلِ وَالْفُضُولِ . وَأَنَّهُ قَدْ ظَلَمَ الشَّابَّ ، وَتَسَبَّبَ فِي عَرَجِهِ حَبَسْنَاهُ حَتَّى أَكَلْنَا وَشَرَبْنَا ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا وَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، فَطَلَبْتُ مِنِّي زَوْجَتِي أَنْ نَخْرُجَ لِلزَّهَةِ حَسَبَ عَادَتِنَا ، نَخْرُجُهَا وَنَتَمَتُّهَا بِمُظَاهِرِ الطَّبِيعَةِ . وَبَيْنَمَا نَحْنُ رَاجِعُونَ مِنْ زَهَّتِنَا قَابَلَنَا هَذَا الْأَحَدُ فَأَخَذَنَا مَعَنَا إِلَى مَنْزِلِنَا .

ولما جلسنا نأكل اعترضت حلقه شوكة سمك وهو يأكل ، فمات لساعته ، فحملته إلى الطبيب اليهودي ، وحمله هو إلى المباشر ، وهذا رماه في طريق النصراني ، وهذه قصتي .

فقال الملك :

أحضروا المزين حتى أسمع كلامه ، وبعد ذلك أنظر في أمركم ، فلما
حضر قال الملك :

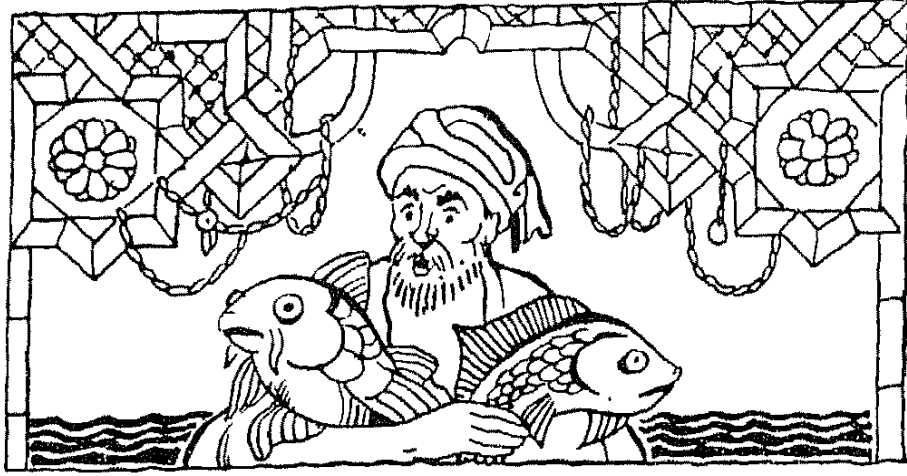
اذكروا له جميع ما وقع منه ، وما حدث للأحذب ، فلما سمع قولهم
هز رأسه وقال :

أحضروا الأحذب بين يديّ ، فجلس عند رأسه ، ثم نظر في وجهه
وضحك ضحكاً عالياً وقال :

لكل موتة سبب ، وموت هذا الأحذب من أعجب العجب ،
فقال الملك : وكيف ذلك أيها المزين ؟ فقال :

إن الأحذب حتى لم يمت ، وأخرج من جيبه وعاء من دهن ، ومسح
رقبة الأحذب ، ثم مد أصابعه في حلقه ، فأخرج منه قطعة من السمك ،
ونفض الأحذب على أثر ذلك قائماً يقول :

لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعجب الملك والحاضرون ، وأنعم عليهم
جميعهم بالعتق والمال الجزيل ، وخلق سبيلهم أجمعين .



خليفة الصياد مع القروء

(١)

كان بمدينة بغداد في الأزمان الغابرة، صيادٌ يسمَّى خليفة؛ وكان فقيراً لم يتزوج أبداً، وذات يوم حمل شبكته على كتفيه، وذهب إلى البحر كعادته؛ وهناك على ساحله شمر عن ساعديه، وجعل يلقى في البحر شبكته، ثم يجرها إليه، فيجدها فارغة لم تمسك شيئاً؛ واستمر على هذه الحال عشر مرات، وهو لا يجد شيئاً؛ فضايق صدره، واضطرب فذكره؛ وجعل يقول: أستغفر الله العظيم، الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه؛ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين؛ اللهم لا راد لقضائك، تبسط الرزق لمن تشاء

وَتَقْدِرُهُ عَلَى مَنْ تَشَاءُ ؛ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا قَضَيْتَ ، وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ بِهِ وَأَوْلَيْتَ .

ثم عزمَ على أَنْ يُلقِيَ شَبَكَتَهُ المَرَّةَ الأَخِيرَةَ ، لَعَلَّ اللَّهَ لَا يَخَيِّبُ رَجَاءَهُ فَرَمَاهَا فِي الْبَحْرِ بِقُوَّةٍ ، وَأَمْسَكَ حَبْلَهَا ، وَانْتَظَرَ مِليًّا ؛ ثُمَّ جَرَّهَا إِلَيْهِ ، فَوَجَدَ فِيهَا قِرْدًا أَعْوَرَ أَعْرَجَ ؛ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مَا أَتَمَسَ حَظِّي ، وَأَنْحَسَ طَالِمِي ؛ وَلَكِنْ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ؛ وَأَخَذَ الْقِرْدَ وَرَبَطَهُ إِلَى شَجَرَةٍ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، وَلَضِيقِ صَدْرِهِ ، وَتَشَاوُؤِهِ مِنْ هَذَا الْقِرْدِ الَّذِي جَاءَهُ ، هَمٌّ أَنْ يَضْرِبَهُ بِسَوْطٍ فِي يَدِهِ ، فَعَاجَلَهُ الْقِرْدُ قَائِلًا : يَا خَلِيفَةَ ، أَمْسِكَ عَنْ ضَرْبِي ، وَدَعْنِي مَرْبُوطًا إِلَى شَجَرَتِي ، وَارْجِعْ إِلَى الْبَحْرِ فَأَلْقِ فِيهِ شَبَكَتَكَ ، وَارْجُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرْزُقَكَ ، فَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ .

فَدَهَشَ الصَّيَادُ مِنْ قِرْدٍ يَتَكَلَّمُ ! وَاخْتَارَ أَنْ يُطِيعَهُ ، طَمَعًا فِي خَيْرٍ يُصِيبُهُ ؛ فَأَلْقَاهَا فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا بَعْدَ مَدَّةٍ قَصِيرَةٍ ، بِجَاءَتِهِ تَحْمِلُ قِرْدًا أَفْلَجَ ، كَحِيلَ الْعَيْنَيْنِ ، مُخَضَّبَ الْيَدَيْنِ ، يُعْطَى وَسْطَهُ ثَوْبٌ خَلَقَ وَكَانَ يَضْحَكُ . فَقَالَ خَلِيفَةُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ وَرَزَقَ ، يَظْهَرُ أَنَّ الْبَحْرَ قَدْ بَدَّلَ بِسَمَكِهِ قِرودًا وَرَبَطَهُ فِي الشَّجَرَةِ بِحَوَارِ زَمِيلِهِ ثُمَّ قَالَ لِلْقِرْدِ الْأَوَّلِ : مَا أَنْحَسَ مَشُورَتُكَ ! وَهَلْ أَنْالُ خَيْرًا مَا دَمْتُ قَدْ اسْتَفْتَحْتُ بِعَوْرِكَ وَعَرَجِكَ ؟ ! وَرَفَعَ يَدَهُ بِالسَّوْطِ يَرِيدُ ضَرْبَهُ ، فَقَالَ الْقِرْدُ : أَكْرِمْنِي مِنْ أَجْلِ زَمِيلِي هَذَا ، وَابْتَغِ

الخيرَ عنده ، فستجدهُ سبباً في قضاء ما تريد . فعفا عنه ، ورمى السوط من يده .

والتفت إلى القرد الثاني كأنه يسأله : فقال هذا القرد : يا خليفة ، إن أنت أطعنتني ، ولم تعص لي أمراً — كنتُ السببَ في غِنَاكَ .
فقال خليفة : وماذا أنتَ أمرٌ به ؟

فقال القرد : اذهبْ إلى البحر ، وبعد أن تلتقي فيه شبكتك وتخرجها أشيرُ عليك بما أرى .

ففعل ما أمر ، وطرح شبكته ، وأخرجها ، فجاءت بقردٍ ثالثٍ أحمر ، مخضَّب اليدين والرجلين . كحيل العينين ، على وسطه ثوبٌ أزرق ، فقال خليفة : سبحان ربِّ العظيم ، هذا يومٌ مباركٌ من أولِهِ إلى آخرِهِ ، أو ذلك يومُ القُرود ؟

ثم التفت إليه قائلاً : وأنت الآخرُ من تكون ؟ !

فقال القرد الثالث : ألسنتَ تعرفُني ؟

فقال خليفة : بلى ، كنّا نلعبُ سوياً ونحنُ صِغار ، ولهذا أعرفُك !
أخبرني من أنت ؟

فقال القردُ : أنا قرد أبي السَّعادات ؛ أصبحَ فيربُحُ خمسةَ دنانير ، وأمسيهِ فيربُحُ خمسةَ دنانير .

فالتفت خليفةُ إلى القرد الأول ؟ ونظرَ إليه نظرةَ غيظٍ وألمٍ ، وقال :
أسمعتَ كيفَ كان صباحُ قُرود الناس ؟ وليكنك صَبْحَتِي بعورك

وعرَجَكَ ، فَأَغْلَقْتَ فِي وَجْهِهِ أَبْوَابَ الرِّزْقِ ، وَجَعَلْتَنِي فِي أَسْوَأِ حَالٍ .
 ثُمَّ هَمَّ أَنْ يَضْرِبَهُ ؛ فَقَالَ الْقَرْدُ الثَّالِثُ : لَا تَكُنْ مُحِبًّا لِلضَّرَرِ وَالْأَذَى ،
 وَتَمَالَ أُرْشِدَكَ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُكَ وَنَفْعُكَ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَاغِبًا فِيهِ وَقَالَ :
 وَمَاذَا أَفْعَلُ بِاسِيدِ الْقُرُودِ ؟

فَقَالَ : ارْزُمِ الشَّبَكَةَ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَحْضِرْ لِي مَا تَجِدُ بِهِ مَهْمًا يَكُنْ شَأْنُهُ
 وَبَعْدَ ذَلِكَ أَحْدِثْكَ بِمَا يَسُرُّكَ .

فَلَبَّى إِشَارَتَهُ ، فَأَخْرَجَتْ لَهُ حُوتًا كَبِيرَ الرَّأْسِ ، لَهُ ذَنْبٌ كَالْمِغْرَفَةِ ،
 وَعَيْنَانِ حَمْرَاوَانِ ، كَأَنَّهُمَا دِينَارَانِ ؛ فَعَظُمَتْ دَهْشَتُهُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَصْطِدْ فِي
 حَيَاتِهِ مِثْلَ الَّذِي اصْطَادَهُ هَذَا الْيَوْمَ ، ثُمَّ أَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْ قَرْدِ أَبِي
 السَّعَادَاتِ كَمَا أَمَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ :

افْهَمْ عَنِّي مَا أَقُولُ ، فَفِيهِ صَلَاحُ شَأْنِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
 فَقَالَ : إِنِّي مُطِيعٌ فَأَمْرٌ بِمَا تَرِيدُ .

فَقَالَ : ارْبِطْنِي هُنَا إِلَى شَجَرَةٍ ، وَادْهَبْ إِلَى نَهْرِ دَجَلَةَ ، وَارْمِ فِيهِ
 الشَّبَكَةَ ، فَإِذَا أَخْرَجْتَ سَمَكَةً كَبِيرَةً لَمْ تَقَعْ عَيْنُكَ عَلَى أَجْمَلٍ مِنْهَا فَهَاتَهَا
 وَبَعْدَ ذَلِكَ أَشِيرُ عَلَيْكَ بِمَا تَفْعَلُ

ذَهَبَ الصَّيَادُ إِلَى نَهْرِ دَجَلَةَ ، وَطَرَحَ شَبَكَتَهُ ثُمَّ جَذَبَهَا ، فَرَأَاهَا مُنْسَكَةً
 سَمَكَةً كَبِيرَةً ، كَأَنَّهُمَا عَجَلٌ صَغِيرٌ ؛ فَحَمَلَهَا ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى قَرْدِ أَبِي
 السَّعَادَاتِ .

فَلَمَّا أَحْضَرَ السَّمَكَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَمَرَهُ أَنْ يَضَعَهَا فِي قُفَّةٍ ، بِحَيْثُ يَكُونُ



من تحتها ومن فوقها حشيشٌ أخضر ، ثم يحملُ القفَّةَ ويذهبُ بها إلى مدينةِ بغدادَ ، وهناك يدخلُ سوقَ الصَّيارفِ ، فيجدُ في صدره دكانَ شيخ الصيارفِ أبي السَّعادات اليهوديِّ ، قد جلسَ فيه على حشِيَّةٍ ، وأسندَ ظهره إلى مخدَّةٍ جميلة . ووضعَ بين يديه صُنْدُوقَيْنِ : أحدهما للذهب ، والآخرُ للفضة ؛ وتحت يده غلمانُه ومماليكُه .

قال القرد : فإذا كنت أمامه فضَّع القفَّة بين يديه ، ثم قلْ له :

يا أبا السعادات ، لقد خرجتُ اليوم للصَّيد ، وطرحتُ الشبكةَ باسمِكَ في نهر دجلة ، فجاءتني بهذه السمكة ، فقديمتُ بها إليك ، فإذا سألك : هل أريتُها أحداً غيري ؟ فقلْ : لم يقعَ نظر أحدٍ غيرك عليها ، وحينئذٍ يأخذها منك ، فإذا أعطاك فيها ديناراً فرُدَّه إليه ، فإذا زاده إلى دينارين فلا تقبلْ ، ومهما يدفع من المال فلا تقبلْ حتى يقولَ لك : وماذا تريده ثمناً لسمكتك ؟ وإِذا ذاك تقول : والله لا أبيعُ سمكتي هذه إلا بكلمتين فإذا قال : وما هاتان الكلمتان ؟ فقلْ أنْ تقفَ بين هؤلاء الناسِ وتقول : أشهدكم أنِّي بعْتُ قِرْدَ خَلِيفَةِ الصَّيَادِ بقردي ، ونصيبَه بنصيبِي وبخنته يبختي ؛ فإذا قال ذلك : فإنِّي أصبحُك وأمسيك ، وتربح أنتَ بعدَ ذلك كل يوم عشرةَ دنانير ؛ وأما أبو السعادات اليهودي فسيكون قردك الأعور سبباً في فناء ثروته ، وضَياع ماله يوماً بعد يوم ، حتى يصبحَ فقيراً مُعذِّماً لا يملك شيئاً .

فقال خليفة : فهنت كلَّ شيء يا سيِّد القروء ..

فقال : أما نحن — القروود والحوت — فاتركنا نذهب إلى البحر كما كنا ، فسرّحهنّ جميعهنّ ، واختفينّ فيه .

أما خليفة فإنه حمل السمكة في قفّته ، ومشى إلى بغداد ، فجعل الناس يسألونه : ما معك يا خليفة ، ولكنّه لا يلتفت إلى أحدٍ منهم ، حتى كان أمام أبي السعادات في دكانه ، فعرفه وقال :

أهلاً بك يا خليفة ، ما حاجتك ؟ إن كان قد ظلمك أحدٌ فأخبرني لأذهب معك إلى الوالى ليردّ إليك الحقّ ممّن ظلمك .

فقال خليفة ما ظلمت ولا خاصمت أحداً ، ولكننى خرجت من بيتى إلى نهر دجلة ، وألقيت فيه شبكتى ناوياً فى نفسي أن ما يخرج فيها من بختك ، فوجدت فيها هذه السمكة فجئت بها إليك ، ثمّ أخرجها خليفة من قفّته ووضعها بين يديه ، فأعجبته السمكة وفرح بها ، ثم قال : وحقّ التوراة لقد رأيت البارحة فى المنام كائن بين يديّ العزيز يقول لى : لقد أرسلت إليك هديةً مليحة ، وأرجو أن تكون الهدية تلك السمكة وشكركم لك إذ كانت على يدك .

ثم سألّه قائلاً : بحقّ دينك هل رأها أحدٌ غيرى ؟

فقال : وربّ الكعبة لم يرها إنسانٌ غيرك وغيرى .

فأمر اليهودى أحد غلمانها أن يحملها إلى بيتّه ، وقال : قلّ لسعاد : ثقلى وتشوى منها ، وتهيئ لنا الطعام حتى أعود ، فحملها الغلام وذهب إلى بيت أبي السعادات .

أما هو فقد أعطى خليفة ديناراً ، فأخذه في تلهفٍ ومضى ، ثم تذكر وصية القرد له فرجع إليه ، وألقى ديناراً في حجره ، وقال : خذ دينارك وهاتِ سمك الناس ، ولا ينبغي أن تبخسهم أشياءهم ، فناوله اليهودي ثلاثة دنانير ، فقال :

قلتُ لك لا تسخر من الناس ولا تبخسهم أشياءهم ، وإن أرضى بهذه الثلاثة ثمناً للسمكة ؛ فزادها اليهودي إلى خمسة دنانير ، فأخذها خليفة ومضى فرحاً بها ، وجعل يقلبها في يديه ، ويقول : أصبحت أغنى من خليفة بغداد ، فليس معه من المال مثل ما معي ؛ حتى أوشك أن يخرج من السوق ، ثم تذكر وصية القرد فرجع مسرعاً ورى بالدنانير الخمسة بين يديه ، فقال اليهودي : ماذا تحب يا خليفة ؟ أتحب أن أبدل بالذهب دراهم ؟

فقال : لا أحب دراهم ولا دنانير ، ولكنني أريد سمكتي .

فغضب اليهودي ، وقال : كيف تأتيني بسمكة لا تساوي ديناراً واحداً ، فأعطيك ثمنها خمسة دنانير ولا ترضى ؟! ما هذا فعل صيادٍ عاقل أخبرني : كم ديناراً تحب أن تكون ثمناً لسمكتك ؟ فقال : لا أريد أن أبيعها بذهب ولا فضة ، ولا أريد ثمنها إلا كلمتين اثنتين .

فغضب اليهودي وقال : يا لافظاعة ! أتريد أن أفارق ديني الذي وجدت عليه آبائي من أجل سمكتك ، ثم أمر غلمانَه أن يضربوه فما زالوا

يضرّبونه حتى أمرهم بالكفّ عنه ، ثمّ قال له : أىّ ثمنٍ تقترحه ثمنًا لهذه السمكة فأنى مُعطيكه لأنك لم تنل منّا إلا الضربَ والأذى .

فقال خليفة : لا تخفّ ولا تفرح ، فأنى أحتملُ من الضرب ما يحتمله عشرةٌ حمير .

فضحك اليهودى وقال : لا تتبعنى وتعب نفسك معى ، فأىّ شىء تريدُه ثمنًا ؟

فقال : كلتان .

فقال : لعلك تريدُ أن أسلم ؟

فقال لا : لا ، لأنّ إسلامك لا ينفعُ المسلمين ، ولا يضرُّ الكفار ؟ كما أن كفرك لا ينفعُ الكفار ولا يضرُ المسلمين ؛ ولكنى أطلبُ إليك أن تنهض قائمًا وتقول : اشهدوا يا أهل السوق أنى قد بدلتُ قرْد خليفة بقردى ، وبختته بيختى ، فقال اليهودى : ذلك هبّ علينا ، وليتك أخبرتنا به قبل ضربك . ثم انتصب قائمًا وقال ما اقترحه عليه خليفة ، ثم سأله : هل بقي لك شىء عندى بعد هذا ؟

فقال : لا .

فقال اليهودى : مع ألف سلامة .

ترك خليفة اليهودى وذهب إلى نهر دجلة ، وألقى فيه شبكته ، فخرجت تحمّل إليه كثيرًا من أنواع السمك ؛ وفى الحال أقبل عليه الحرفاء والزبائن واشتروا ما معه من السمك بعشرة دنانير ، واستمر عشرة أيام على هذه

الحال يبيع كل يوم ما يصيده من سمك بعشرة دنانير . حتى جمع من ذلك في تلك المدة مائة دينار . كان حريصاً على ادخارها ، وعدم إنفاق شيء منها ، مخافة أن يظهر عليه اليسارُ دفعةً واحدةً

و ذات ليلة قال في نفسه وهو في بيته : لقد جمعتُ الآن من صيد السمك مائة دينار ، ولا بد أن يتحدث الناس في ذلك ، وربما وصل هذا الخبر إلى هارون الرشيد ، فيسألني أن أقرضه المائة دينار فأكذب عليه وأنكر ملكها ، فيأمرُ واليه أن يوجعني ضرباً حتى أعترف بها وأحضرها إليه ، وتلك ورطة ليس وراءها إلا الخسارة والأذى ؛ والرأي السليم عندي أن أقوم الآن فأتدرب على الضرب وتحملته ؛ ثم تجرد من ثيابه ، وأمسك ستوطه بيده ، وجعل يضرب نفسه ضربة ، ويضرب مخدة من جلده كانت عنده ضربة ، وهو في أثناء ذلك يصيح قائلاً : آه ، آه ، والله إني فقير ، ولا أملك شيئاً ، وما بلغت إلا محض الكذب والافتراء : وكان لهذا الصباح صدّي ودوي في سكّون الليل ، فظن الناس أن جماعة من اللصوص هجموا على خليفة في منزله ، وهم الآن يؤذونه ويحاولون نهبه ، وهو يستغيث ويطلب النجدة بصياحه هذا الذي أزعج الليل وسكونه ؛ ثم خفوا مسرعين إلى بيته لإنقاذه فوجدوه مقللاً ، فوصلوا إليه من سطح منزله ، فوجدوه قد تجرّد من ثيابه ، وأنه هو الذي يضرب نفسه ، فسألوا عما دعا إلى أن يفعل ذلك ، فحكى لهم ما حدثته به نفسه ، فضحكوا وعجبوا ، وقالوا : خيبتك في عقلك :

أعظم من خيبتك في مالك ، ولقد أقلقْتَ راحتنا ، وأزعجت هدوءنا ، وإيّاك أن تعودَ إلى مثل هذا ، ثم انصرفوا ونام هو بيته إلى الصباح .
ولما استيقظَ فكَّر في أمر المائة الدينار ، فقال : إن تركتها في البيت
فربما سُرقت في غيبتى ، وأرى أن أضعها في جيب جبتى هذه البالية
الممزقة ، التى أُلْسِمها في أثناء الصَّيْد ، وحينئذٍ لا يَظُنُّ أحدٌ أنها تحملُ
مالاً ، وكذلك فعل ،

ثم أخذ قفّته وعصاه وشبكته ومشى إلى نهر دجلة ؛ وهُناكَ جعلَ
يُلْقِي شَبَكَتَهُ ، ويُخْرِجُهَا دُونَ أَنْ تَحْمَلَ لَهُ شَيْئاً ؛ وبعد كلِّ مرّةٍ يَنْتَقِلُ مِنْ
مَكَانٍ إِلَى آخَرٍ حَتَّى بَعْدَ عَنِ الْمَدِينَةِ مَسِيرَةَ نَصْفِ يَوْمٍ ، وهو لا يزالُ في
خَيْبَتِهِ وَحَرِمَانِهِ ، فضايق صدرُهُ ، وقال في نفسه : أُلْقِي شَبَكَتِي لِلْمَرَّةِ
الْأَخِيرَةِ ، وَسَوَاءٌ عَلَيَّ أَحْمَلْتُ إِلَى شَيْئاً أَمْ لَمْ تَحْمَلْ ، فَإِنِّي عَائِدٌ إِلَى الْمَدِينَةِ
بَعْدَهَا ؛ وَبِقُوَّةِ الْغَاظِبِ الثَّائِرِ الْيَائِسِ أُلْقِي شَبَكَتَهُ ، فَطَارَتْ صُرَّةُ
الدَّانَائِرِ مِنْ جِيهِهِ إِلَى النَّهْرِ مِنْ شِدَّةِ حَرَكَتِهِ ، فَأَخْرَجَ فِي الْحَالِ الشَّبَكَةَ
وَنَزَعَ عَنْهُ ثِيَابَهُ ، وَنَزَلَ فِي النَّهْرِ يَجْرِي وَرَاءَ الصُّرَّةِ الَّتِي حَمَلَهَا التِّيَّارُ وَسَارَ
بِهَا فِي مَجْرَاهُ ، تَارِكاً عَلَى الشَّاطِئِ ثِيَابَهُ وَقَفَّتَهُ وَعَصَاهُ وَشَبَكَتَهُ ، وَعَبَثًا
حَاوَلَ أَنْ يُمْسِكَ عَلَى صُرَّةِ دَنَائِيرِهِ ، فَرَجَعَ خَائِبًا حَزِينًا . فَمَا وَجَدَ إِلَّا الْعَصَا
وَالْقُفَّةَ وَالشَّبَكَةَ ؛ أَمَا جَبْتُهُ فَلَمْ يَجِدْ لَهَا أَثَرًا ، فَتَلَفَعَ بِحُزْنِهِ وَخَيْبَتِهِ وَشَبَكَتِهِ
وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ قَفَّتَهُ وَجَمَلَ يَسِيرَ عَلَى غَيْرِ هُدًى

أما هارون الرشيدُ فقد كان ابنُ القُرَاصِ تاجره وصاحبه . وكانَ

لا يبيع شئ في المدينة من بضاعة أو ممالك وجوارٍ إلا عرض عليه قبل بيعه . فبينما هو جالس في دكانه إذ أقبل عليه أحد الدَّالَّين ، ومعه جارية تسمى قوت القلوب ، لم ترَ عينٌ مثلها حسناً وجمالاً ، ولم يسبقها أحدٌ في ثقافتها ومعرفة العلوم والفنون ، والآداب ، والغناء ، والضرب على آلات الطرب ، فاشتراها ابن القرناص بخمسة آلاف دينار ، وكساها بألف دينار ، وذهب بها إلى الخليفة هارون الرشيد ، فباتت عنده ليلة ، عَرَفَ فيها مبلغ ما عليه الجارية من العلم والمعرفة ، وذلك أنها اختبرت في مجلسه فكانت سبَّاقة لا يُشَقُّ لها عُبار .

وفي الصباح أمر الخليفة أن يحضر إليه ابن قرناص ، فلما حضر تقدَّه عشرة آلاف دينار ثمناً للجارية ، وقد ملكت عليه قلبه ، حتى أنه أغفل من عداها من جواريه ونسائه ، وحَبَسَ نفسه في قصرها لا يَبْرُحُها إلا لصلاة الجمعة مدة شهرٍ كامل ، حتى عَظُمَ ذلك على أولى الشأن من أرباب الدولة . وشكوا إلى جعفر كبير وزرائه .

انتظر جعفر حتى اجتمع به في المسجد الجامع يوم الجمعة ، فجعل يَقصُّ عليه من نوادر العشق حتى قال الخليفة : لقد وقعتُ فيما وقعَ فيه العشاق وأصْبَحْتُ منه في ورطةٍ قاسيةٍ لا أدري لى مَخْلَصاً منها .

فقال جعفر : امتلاكُ الشئ يقلل الرغبة فيه ويطفىء لهيب الشغف به ، وليس للملوك من وسائل المرح واللهو أكرم من الصيد والقنص ، فلا بأس أن يكون لأمير المؤمنين من ذلك كل يومٍ حظ وفير ، وربما

كان هذا من عوامل السلو ، والقهر من إلحاح الرغبة والهوى .

فقال الخليفة : ذلك حسن ، ولنمض إلى الصيد بعد صلاة الجمعة .

سارَ المسكر والبرامكةُ أمام الخليفة وجعفر وزيره إلى البرية ، وكانا راكبين بغلتين ، فشغلتهما الحديثُ في بعض الأمور عن الجدِّ في السير وانقطعا عن المسكر ، وأحسَّ الرشيدُ إذ ذاك عطشاً شديداً ، فنظر حواليه فرأى على كومةٍ عاليةٍ شجراً ، فقال لوزيره : هل ترى ما أراه الآن ؟

فقال : نعم ، أرى شجراً على كومة عالية ، قد يكون لحارس بستان ، أو حارس مزرعةٍ لِقثاء ، وأغلب الظنُّ أنه في مكان لا يخالو من ماء ، فإنَّ أذن الخليفة ذهبَ إليه ، وأحضرت الماء لتشرب هنيئاً :

فقال : الرشيد بغلتي أسرع من بغلتك ، فقف أنت هنا حتى تكون على مرأى من المسكر إلى أن أذهب إليه فأشرب فأعود سريعاً . وغمز الرشيدُ بغلته ، فانطلقت كالسهم مسرعة ، وما هي إلا برهة عاجلة حتى كان عند الشَّبح والكومة العالية ، وكان ذلك الشَّبحُ خليفة الصياد ، جلس متلفعاً بشبكته ، ليسترُّ بها جسمه ، تبدو عليه آثار التعب والغم العظيم ، فسلم الرشيدُ عليه ، فردَّ عليه تحيَّته ، ثم سأله الرشيد : هل عندك بعض من الماء ؟

فأجابه : رحم الله أهل النظر والبصيرة ، يُخِيلُ إلىَّ أنك أعشى أو غبي ، إن الماء في نهر دجلة ، خلف هذه الكومة ، فأسرَّع الرشيدُ إليه وشرب

من مائه وسقى بغلته ، ثم رجّع إلى الصياد فسأله : ما شأنك أيها الرجل ؟
وما صنعتك ؟

فقال : ورحم الله أهل النظر والبصيرة أيضاً ، فهذا أغرب من سؤالك
عن الماء أما ترى آلة صنعتي متلفعا بها ؟
فقال الخليفة : كأنني بك صياد ؟

فقال نعم .

فسأله : وأين جُبتك وشملتُك وثيابك وحزامك ؟
فظنَّ خليفة أنه هو الذي سرق جبته وقام إليه مُمسكا لجام بغلته وقال :
هاتِ جُبتِي واترك هذا المزاح .

فقال الرشيد : والله ما رأيتُ لك ثيابا ، ولا أخذت لك شيئا .
فقال لا أظنك إلا مغنياً أو زامراً تمزح كثيراً ، فهاتِ ثيابي بالتي هي
أحسنُ ، وإلا ضربتك بهذه العصا حتى تبول رعباً وألماً .
خاف الرشيد ، وقال في نفسه : والله لا أحتملُ ضربة واحدة بهذه
العصا ، ثم نزع عنه قباؤه وقال :

خذ هذا عوضاً عن ثيابك ، وكان من الأطلس ، فجعل يقلبه وينظر فيه
ثم قال إن جبتي تساوي عشرة أمثال هذا .
فقال الرشيد : البسه حتى أحضرها .

فأما لبسه وجده طويلاً فنزع سكيناً مربوطةً إلى أُذن قُفْته وقطع
من أسفل القباء مقدار ثلث طوله ، حتى صار إلى تحت ركبتيه إذا ما لبسه



ثم التفت إليه ، وقال :

يا لله أيها الزامر ، أخبرني عن مقدار ما تكسبه كل شهر من زورك .
فقال : عشرة دنانير .

فقال الصياد : مسكين أيها الزامر ، إن مقدار ما تكسبه كل شهر
أكسبه في اليوم الواحد ، فهل ترغب أن تكون في خدمتي ، وأعلمك
الصيد ، على أن تقاسمني الدنانير العشرة كل يوم ، فتأخذ منها خمسة ،
وآخذ منها خمسة ؟

فقال الرشيد : رضيتُ بذلك .

فقال الصياد : انزل عن نعليك وقيدها ، فإنها تنفُنا في حمل ما نصيدُ
من السمك ونقله ، وتعال معي أعلمك الصيد هذه الساعة .
ولما كانا عند دجلة أمره أن يُشمر عن ساعديه وساقيه ، وعلمه
كيف يحمل الشبكة على ذراعيه ، وكيف يلقاها في النهر ، ففعل الرشيدُ
كما علمه ، وجرَّ الشبكة بعد أن ألقاها في النهر ، فلم يستطع أن يحرِّكها
من مكانها ، فساعده خليفة في إخراجها فلم تطاوعهما .

فقال الصياد :

لقد أخذتُ قبائك في جَبَّتِي ، وسأخذ بعلتك في شبكتي إن مُزَّقَ
شيءٌ منها ، وسأضربك بعصاي ضرباً مُوجعاً .

فقال الرشيد : نستعين بالله ، ولعيدُ جرَّها معاً ، ففعلَا ؛ وبعد تعب

ومشقة كانت الشبكة مملوءة بأنواع السمك أمامهما على الشاطئ ، ففرح خليفة ، وقال للرشيـد :

إنك زامر قبيح ، ولكن سيكون لك مستقبل ناجح في صيد السمك ؛
فاركب بغلتك وأحضر لنا من السوق قفتين كبيرتين ، لننقل هذا
السمك فيهما إلى السوق حيث نبيعه ، ونقبضُ ثمنه ، الذي يبلغ عشرة
دنانير .

فقال الرشيـد : سمعاً وطاعة .

وفرَّ ببغلته وهو يضحكُ إلى جعفر ، وكان لا يزالُ في مكانه ينتظر ،
فقال للرشيـد :

لعلك وجدتَ بستاناً فحبسكَ جماله هذا الوقت الطويل ؟ !

فضحك الرشيـد وأغرقَ في الضحك حتى أمسك على بطنه ، وكان مع
جعفر جماعةٌ من البرامكة رجعوا إليه من العسكر يسألون عن الرشيـد
وغيبته ، فقالوا له :

وما سببُ تأخرِكَ هذه المدة الطويلة ، حينَ ذهبتَ تطلبُ الماء
لتشرب ؟ !

فقص عليهم قصته ، ولم يترك منها شيئاً ، فضرب جعفر كفاً بكف
وقال :

ضاع مني القباء ، لقد كنت عازماً أن أطلبُ هذا القباءَ لنفسي ،
ولو لم يتلفه الصياد بتقصيره لاشرئته منه .

فقال الرشيد : لَيْتَ الأمرُ وقفَ عندَ تلفِ القباءِ ، لقد تعبْتُ في صيد السمك ، وخَفَّفَ عَنِّي هذا التعبُ أنْ كانَ سمكاً ما أَجَلَه وإنَّ أَيْةَ سَمَكَةٍ تَأْتِيَنِي مِنْهُ أَدْفَعُ ثَمَنَهَا دِينَاراً دهباً .

فنادَى مُنَادٍ فِي الْعَسْكَرِ أَنْ اشْتَرُوا سَمَكاً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَانْطَلَقَ الْمَالِكُ كَالْجَرَادِ إِلَى نَهْرِ دَجَلَةَ وَجَعَلُوا يَشْتَرُونَ ، حَتَّى بَاعَ الصَّيَادُ السَّمَكَ بِعِشْرِينَ دِينَاراً ، وَبَقِيَتْ مَعَهُ سَمَكَتَانِ ، فَأَمْسَكَ إِحْدَاهُمَا بِيَدِهِ الِثْنَى ، وَأَمْسَكَ الثَّانِيَةَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى ، وَنَزَلَ فِي النَّهْرِ إِلَى عَمْقِهِ وَقَالَ :

يَا رَبِّ ، بِحَقِّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَنْ تُخْضِرَ شَرِبَكِي الزَّامِرَ هَذِهِ السَّاعَةَ ، حَتَّى يَأْخُذَ مِنْ ثَمَنِ السَّمَكِ نَصِيبَهُ . وَإِذَا بَعْدُ مِنْ عِبِيدِ الْخُلَيفَةِ فَدَ حُضِرَ ، وَكَانَ الْمَقْدَمُ فِيهِمْ ، فَقَالَ :

بَعْنِي بِاصْيَادُ مَا مَعَكَ مِنَ السَّمَكِ ، فَقَالَ :

لَيْسَ مَعِيَ سَمَكٌ لِلْبَيْعِ ، فَأَمَضُ إِلَى سَبِيلِكَ ، وَلَا تَكُنْ ثَرثاراً .

فَرَفَعَ الْعَبْدُ يَدَهُ بِالْذُبُوسِ يَرِيدُ ضَرْبَهُ ، نَخَافَ الصَّيَادُ ، وَقَالَ :

لَا تُعْجَلْ بِالْأَذَى ، فَإِنَّ الْمَعْرُوفَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِ السَّمَكَتَيْنِ ، فَوَضَعَهُمَا الْعَبْدُ فِي مَنْدِيلِهِ ، وَقَالَ :

إِذَا كَانَ الْغَدُ فَادْهَبْ إِلَى دَارِ الْخُلَافَةِ ، وَاسْأَلْ عَنِ الْعَبْدِ صَنْدَلٍ ، لِأَعْطِيكَ ثَمَنَ السَّمَكَتَيْنِ ، ثُمَّ تَضِي لَشَأْنُكَ ، إِذْ لَيْسَ مَعِيَ نَقُودٌ الْآنَ .

فَقَالَ الصَّيَادُ :

أَرِنَا قِفَاكَ ، وَغَدًا يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ .



خرج الصياد من النهر وقال :

الحمد لله ، هذا رزقنا ما له من نفاذ ؛ ثم عاد مُسرِعاً إلى داره في بغداد
فَعَجِبَ كُلُّ مَنْ رآه فيها ، إذ عرفوا عليه قَبَاءَ الخليفة ، وكان أشدَّهم عجباً
خيَّاط الرشيد الذي صنعه وخاطه ، فلما مرَّ به سأله :

من أين لك هذا القباء يا خليفة ؟

فقال : من رجل علَّمته الصيد فأصبح تلميذى وأنا مُعلِّمه ، وكان قد سرقَ
جُبَّتِي فَأَعْطَانِي هَذَا الْقَبَاءَ عَوْضًا ، وعفوت عنه ؛ فعرف الخيَّاط أن الخليفة
قابله ومزَّح معه ، وأعطاه في النهاية قباءه ، ثم ذهب الصياد إلى بيته .

(٣)

كانت السيدة زبيدة قد أخذتها الغيرة من قوت القلوب ، وهُيام
الرشيد بها ، فانتهزت غيبة الرشيد في الصيد ودبَّرتْ مَكِيدَةً لَلتَّخْلُصِ
منها ؛ فإذا فعلت ؟

أمرت السيدة زبيدة جواريتها أن يعدِدْنَ طَعَامًا فاخرًا ، جمعَ من
ألوان الأطعمةِ أغلاها وأشهاها .

ثم وضعتْ في صُفْةٍ واحدةٍ لِلحُلُوى بُنْجًا ، وبعثتْ في طلب الجارية
قوت القلوب ، وقيل لها :

إنَّ السيدة زبيدة ، زوجُ أمير المؤمنين ، شربتْ اليوم دواءً ، ورغبتُ
أن تُسرِّيَ عنها بما تسمعه من غنائك الشَّهي ، وإيَّةاعك الجميل .

فَقَالَتْ : أَنَا فِي خِدْمَةِ سَيِّدَتِي وَزَوْجِ سَيِّدِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَسَمِعَا
وِطَاعَةً — وَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مَا تُضْمِرُهُ لَهَا الْيَامَ .

وَلَمَّا كَانَتْ أَمَامَ السَّيِّدَةِ زَيْبَةَ سَامَتْ قَائِلَةً :

السَّلَامُ عَلَى السَّيِّدَةِ الرَّفِيعِ ، وَالْجَنَابِ الْمُنِيعِ ، وَالسَّلَالَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْكَرِيمَةِ ،
وَالْبُضْعَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ ؛ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَكَ مَقْرُونَةً بِالْيُمْنِ وَالسَّعَادَةِ ؛
ثُمَّ مَكَثَتْ وَاقِفَةً مَعَ الْجَوَارِي مُنْتَظِرَةً أَمْرَ سَيِّدَتِهَا .

وَنَظَرَتْ إِلَيْهَا السَّيِّدَةُ زَيْبَةُ ، فَوَجَدَتْهَا أَسِيلَةَ الْخَدَّيْنِ ، حَوْرَاءَ الْعَيْنَيْنِ
رَمَائِيَّةَ النَّهْدَيْنِ ، ذَاتَ جَبِينٍ زَاهِرٍ ، وَجَفْنَيْنِ سَقِيمٍ فَاتِرٍ ، وَشَعْرَ مَرْسَلٍ
طَوِيلٍ ، كَأَنَّهُ اللَّيْلُ ، وَثَغْرَ كَأَنَّهُ اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ، ثُمَّ قَالَتْ :

وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، أَهْلًا وَمَرْحَبًا بِقُوتِ الْقُلُوبِ ، اجْلِسِي وَغْنِي .

فَجَلَسَتْ ، وَتَنَاوَلَتْ عَوْدَهَا ، فَشَدَّتْ أَوْتَارَهُ ، وَعَرَكَتْ آذَانَهُ ،
وَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا ؛ ثُمَّ ضَرَبَتْ وَغْنَتْ فَأَعْجِبَتْ وَأَطْرَبَتْ ، وَقَامَتْ بَيْنَ
يَدَيِ السَّيِّدَةِ زَيْبَةَ فَلَمَعَتْ بِالشَّعْوَذَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ كُلِّ فَنٍّ غَرِيبٍ ، حَتَّى
كَادَتْ تَعَشُّقُهَا ، وَتَعْذِرُ الرَّشِيدَ فِي عَشِّقِهِ إِيَّاهَا .

ثُمَّ اسْتَأْذَنْتْ وَقَعَدَتْ ، فَقُدِّمَ لَهَا الطَّعَامُ وَفِيهِ الْبَنْبُجُ ، فَلَمَّا شَبِعَتْ غَاثَ
وَعُيْهَا ، وَسَقَطَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا .

فَأَمَرَتْ السَّيِّدَةُ زَيْبَةُ أَنْ تُحْمَلَ وَتُودَعَ فِي مَقْصُورَةٍ مِنْ مَقْصُورَاتِ
الْقَصْرِ حَتَّى تَهْلِكَهَا ، فَأُودِعَتْ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ أَمَرَتْ أَنْ يُصْنَعَ صُنْدُوقٌ

خشبي على قَدِّها ، وأن يُبنى قَبْرُ لها ، وأن يُعلنوا نبأ وفاتها ، بُعْصَة
وشرقةٍ معاً ، وأنذرت بالقتل مَنْ يقولُ عنها غير ذلك .

ولما رَجَعَ الخليفة سأل عن قوت القلوب ، فقيل إنها غُصَّتْ بالطعام ،
فمَاتت ، ودُفِنَتْ ، فوقفَ على قبرها وقفة طويلة حزينة ، ثم انصرفَ
إلى غرفة راحته .

فأيقنت السيدة زُبَيْدة أن تديرها قد نجحَ ، فأمرت أن توضع
قوت القلوب في الصندوق الخشبي ، وأن يُباع في السوق مُقَفَّلاً وَيُتَصَدَّقَ
بشئنه .

أما خليفة الصياد ، فإنه ذهبَ في مواعده إلى دار الخليفة ، وطلب
لقاء المملوك صندل ، فلما جاءه قال له :

جديرٌ بالأمين الوفي أن يصدق الناس وعده .

فقال صندل : ذلكَ حقٌّ . تفضَّلْ ، واجلس هنا على هذا الكرسي ،
حتى أحضرَ لكَ ثمن السمك ، ولكن جعفرًا كان قادمًا من عند الخليفة ،
فرأى الصياد جالسًا وهو على حالة تَلَفَتُ النظر ، وتبعث على التساؤل ؛
فسأل عنه العبد صندلا ، فقال : ألا تعرفُ هذا يا سيدي الوزير ؟

فقال : وكيف أعرفه ، ولم أره إلا هذه الساعة ؟

فقال : هذا خليفة الصياد ، الذي اشترينا سمكه لأمر المؤمنين ، جاءني
لأعطيَه ثمن السمك الذي اشتريته منه .

فابتسم جعفر وقال : أَلستَ أنتَ تعرفه ؟ !

فقال : لا أعرفُ إلا أنه خليفة الصياد ، وقد جاء ليأخذ ثمن سمكه .
 فقال جعفر : هذا مُعلِّمُ أمير المؤمنين وشريكه ، والحمدُ لله الذي جاءنا
 في وقتِ الحاجةِ إليه ، فإن أمير المؤمنينَ في حُزنٍ عميقٍ ، وهو في حاجةٍ
 إلى مَنْ يُسَلِّيه ، فلا تُمكنْهُ من الرواحِ حتى أستاذنَ في أمرِهِ أمير المؤمنين .
 فأمرَ صندل المماليكَ أَنْ يقبضُوا عليه ، ولا يَكْنُوه من الفرار ؛
 فأخذوه وحبسُوهُ ، فمَجِبَ من ذلك ، وقال : الحمدُ لله الذي لا يَحْمَدُ عَلَى
 مكروهٍ سِوَاهُ ، أَصْبَحَ الطالبُ مطلوبًا ، وصاحبُ الحقِّ محبوبًا ،
 فلا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله .

ورجع جعفرُ إلى الخليفة فوجده مُطرقًا ، فسَلَّمَ ، وقال : أياؤذني
 أمير المؤمنينَ أَنْ أَتَكَلَّمَ وليسَ عَلَى مَنْ حَرَجَ .

فقال : ومتى كان عليك حرجٌ وَأَنْتَ كبيرُ الوزراءِ ؟ ! تكلم عما تشاء .
 فقال : خرجتُ الآنَ مِنْ عِنْدِكَ فوجدتُ بِيَابَ قِصْرِكَ مُعَلِّمَكَ
 وشريكَكَ خليفة الصياد يقول : علمتُهُ الصيْدَ ، وأرسلتُهُ لِيَحْضَرَ لِي
 قَفْصَيْنِ ، فلم يرجعْ ، فَأَيْنَ حُرْمَةُ المَعْلَمِ ، وإِخْلَاصُ الشُّرَكَاءِ ؟ ! فإن لم يكن
 لك غرضٌ في شُرَكَائِهِ فَأخبرهُ حتى يبيحَ له عن شريكٍ غيرِكَ .

فتبسَّم الخليفةُ ضاحكًا ، وقال : أَحقَّ هذا الذي تقول ؟ ؟

فقال : وحياتِ أمير المؤمنين ، إن خليفة الصياد بِيَابِكَ .

فقال الخليفة : سأَقْضِي لهذا الصياد ما يُريدُه له القضاء ، من سعادَةٍ
 أو شقاء ، ثم أمرَ أَنْ يُعَدَّ ورقٌ صغير ، وَأَنْ يُكْتَبَ في كل ورقة نصيبٌ

من المال، من عشرين ديناراً إلى ألف دينار؛ وأن تُوزَّعَ مراتبُ الدولة في ورق آخر، من أقلِّ منزلةٍ إلى الخلافة؛ وأن يكتب في ورق آخر أيضاً عشرون صنفاً من أصنافِ العقاب، من أقلِّ تعزيزٍ إلى القتل؛ ثم قال: سأمره أن يأخذ ورقة واحدة من هذه الأوراق بعد خلطها في كيس، وسأقضى له بما هو في الورقة التي تخرجها من الكيس يده، ولو كان فيها الخلافة، أو كان فيها قتله؛ فاذهب واثنى به؛ فذهب إليه وهو يقول في نفسه: لا حول ولا قوة إلا بالله، لقد كنتُ سبباً في مصيرٍ محتوم، ولا أدري أهو شرٌّ فأندم، أم هو خيرٌ فأغنم؟! ولا بد من طاعة أمير المؤمنين، وتنفيذ حكمه؛ فلا حضره، وليتكن إرادة الله تعالى.

وأمسك جعفرُ يدَ الصياد، وسار به، والعييدُ من خلفه وقُدَّامه، فدهش، وقال في نفسه: ماذا فعلتُ في يومى هذا حتى أصبحتُ كالأسير؟! وماذا هم فاعلون؟! اللهم إني أسألتُ أمرى إليك فادفع السوء عني، ونجِّني من القوم الظالمين.

ودخل به جعفرُ على الخليفة وهو جالسٌ على سريرٍ مُلكه، يتلأأُ ذهبه، وتبرقُ جواهره، وأمامه البسطُ السندُسيَّة، تجعلُ الداخل يخشى أن تطأها قدمه، ومن حوله كراسيٌ تُلقى في النفس هيبةً وجلالاً؛ وقد اصطفَ الحرسُ مُدَجَّجين بالسلاح أمامَ غرفتهِ عِميناً وشمالاً، فلما رآه الصيادُ قال: أهلاً بالزَّامر، وكيف تتركُنِي على نهرٍ دجلةَ بعد أن عامتكَ الصيد، وأصبحتَ غلامى وشريكى؟!

لقد كنت سبباً في خسارتنا ، وبيع السمك بثمن بخس ، فقد نهبه المماليك ، ولم يدفعوا إلا ثمننا يسيراً ؛ ولو أحضرت القفتين لبعنا السمك في بغداد بمائة دينار ؛ وقد جئت الآن أطلب بقية ثمن السمك فقبضوا عليّ وحبسوني ، وأنت ، مَنْ حبسك في هذا المكان ؟

فتبسم الخليفة . وقال : تقدّم وخذ لك ورقة من أوراق هذا الكيس ؟ فقال الصياد : كنت بالأمس صياداً ، وأراك اليوم منجمّاً ؛ أما علمت أن من كثرت صناعاته ، عظم فقره ، وساءت حاله ؟ ! فقال جعفر : خذ الورقة بسرعة ، وأطع أمير المؤمنين .

فأخذ الصياد ورقة من الكيس ، وهو يقول : هيهات أن يعود غلاماً لي ، ويصطاد معي ؛ خذ يا زمار هذه الورقة فاقرأها ولا تخف منها شيئاً . فقال الخليفة : خذ منه الورقة يا جعفر ، وأسمعه جميع ما فيها ، فنظر إليها ، ثم قال : يضرب الصياد مائة ضربة بالعصا ، فقال الخليفة : اضربه ولا تبطئوا ؛ فأخذوه في غير رحمة ولا شفقة ، وطحروه أرضاً ، وضرروه مائة عصا ؛ وكان كلما ألهمه الضرب صاح : واغوثاه يا ربّاه ! الغلام يأمر بضرب معامه ! إن هذا مزاح ثقيل !

ولما ضرب قال : ما أتعس حظي هذا اليوم إن لم يكن ذلك مزاحاً من غلامي الزمار ! ثم قال جعفر : يا أمير المؤمنين ، قدِمَ هذا المسكين إلى بحر كرمكم ، ولا يرضيكم أن يعود عطشان ، فإذا أمر الخليفة أن يأخذ ورقة أخرى ، فلعله ينال بها شيئاً من المال يعينه في فقره ؟ !

فقال الرسيد : أَلَا تَخْشَى أَنْ يَكُونَ حَظُّهُ فِيهَا الْقَتْلَ ، فَتَكُونَ سَبَبًا
فِي هَلَاكِهِ ؟ ١

فقال جعفر : إِنْ كَانَ حَظُّهُ الْقَتْلَ فَقَدْ اسْتَرَّاحَ .
فقال الصياد : لَا بَشْرَكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ ، أَضَافَتْ بِغَدَادُ بِخَلِيفَةِ الصِّيَادِ ،
حَتَّى تَطْلُبُوا قَتْلَهُ ؟ ٢

فقال جعفر : اسْتَخِرِ اللَّهَ وَخُذْ وَرَقَةً ؛ فَمِنْ يَدِهِ وَأَخِذْ وَرَقَةً ؛ فَلَمَّا نَاولَهَا
جَعْفَرًا قَرَأَهَا فِي نَفْسِهِ وَسَكَتَ ؛ فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : مَا أَسْكَتَكَ يَا جَعْفَرُ ؟
فقال : قَرَأْتُ بِالْوَرَقَةِ : لَا يُعْطَى شَيْئًا .

فقال الرشيد : بُرِّهْ يُفَارِقُنَا فَلَيْسَ لَهُ رِزْقٌ عِنْدَنَا .
فقال جعفر : بِحَقِّ آبَائِكَ أَنْ تَأْمُرَهُ بِأَخِذْ وَرَقَةً ثَالِثَةً ، فَعَسَى أَنْ نَجِدَ
لَهُ فِيهَا خَيْرًا .

فَأَمَرَ بِأَخِذِ الثَّالِثَةَ فَوَجَدُوا فِيهَا : يُعْطَى الصِّيَادُ دِينَارًا وَاحِدًا .
فقال جعفر للصياد : أَرَدْنَا لَكَ السَّعَادَةَ وَالْغَنَى ، وَلَسَكُنَ اللَّهُ لَمْ يَرِدْ لَكَ
إِلَّا هَذَا الدِّينَارُ .

فقال الصياد : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، هَذَا خَيْرٌ كَثِيرٌ ، كُلُّ مِائَةِ ضَرْبَةٍ بِالْمِصْبِ بِدِينَارٍ
وَاحِدٍ ، لَا أَصِحَّ اللَّهُ لَكَ بَدَنًا ، فَضَحِكَ الْخَلِيفَةُ وَقَالَ : أَعْطَوْهُ الدِّينَارَ
وَخَلَوْا سَبِيلَهُ .

فَلَمَّا وَصَلَ الصِّيَادُ إِلَى الْبَابِ رَأَاهُ صَنْدَلُ فَنَادَاهُ ؛ وَقَالَ لَهُ : أَعْطَانِي شَيْئًا
مِمَّا أَعْطَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ يَمْزَحُ مَعَكَ .

فقال : أعطاني مائة ضربةٍ بالعصا وديناراً واحداً ، أما الضربُ فلا أستطيعُ قسمته ، وأما الدينارُ فهو حلٌّ لك ، ورماء في وجهه وخرجَ غاضباً ، فحزنَ صندلٌ من أجله ، وأمرَ الغلمانَ أن يردُّوه .

فلما رجع ناوله الدينارَ وكيساً به مائة دينار ؛ وقال : هذا ديناركُ الذي أخذته من الخليفة ، أما هذا الكيسُ وما فيه فهو ثمن ما اشتريته منك من السمك ؛ ففرحَ الصيادُ وخرجَ ناسياً ما أصابه من ضرب .

وبينما هو مارٌّ في طريقه إلى بيته بسوق الجوارى — وجدَ جمْعاً من الناس يحيطون بشيخٍ قائمٍ ، أمامه صندوقٌ مُقفَلٌ ، وعليه خادمٌ ، والشيخُ ينادى : يا تجار ، يا أربابَ الحظوظ والأموال ، هذا صندوقٌ مقفَلٌ من دارِ السيدة زبيدة زوج أمير المؤمنين . فتقدمَ تاجرٌ وقال : اشتريه بعشرين ديناراً ؛ وقال آخرٌ : بثلاثين ديناراً ؛ وهكذا حتى وصلَ ثمنه مائة دينار .

ثم جعل الشيخُ ينادى هلْ عندكم زيادة ؟ فقال خليفة الصياد : اشتريه بمائة دينار ودينار .

فقال الشيخُ بارك الله لك فيه ، فتسلمَ الصندوق ، ودفعَ الثمن ، ووقعت الماقدّة ، وتصدقَ الشيخُ بثمنه ، وهو لم يبرحْ مكانه ، ثم رجع وحكى للسيدة زبيدة ما حصل ، ففرحت واطمأنت .

أما الصياد فقد حملَ الصندوق على رأسه ، ومشى في تعبٍ وإعياء حتى دخل بيته .

ثم أخذ يُعالجُ فتحه فلم يَسْتَطِعْ ؛ فقال في نفسه : أينَ كانَ عقلي حينَ
اشتريتُ هذا الصندوقَ بما أملكُ من دنانير ؟ ! وكيفَ أشتري شيئاً
مجهولاً بهذا الثمن الباهظ من الدنانير ؟ !

وقام إلى الصندوقِ ثانيةً يعالجُ فتحه فلم يقدر ؛ وكان الليلُ قد أقبل
فأرجأ فتحه إلى الصباح ، ونام فوق الصندوق ، وقبل أن يستغرقَ في نومه
أحسَّ حركةً في الصندوق تحتَه ، فقام فزعاً وقال : ماذا في الصندوق ؟
أخشى أن يكون قد حوى عفاريت ، أحمدُ الله الذي ما جعلني أفتحُه في
الظلام ولو فتحتُه لخرجوا منه ، وأهلكوني أو ضروني .

ثم نفَّختَه نسمةً من الأطمئنان ، وقال لعلها حركةٌ لا أثر لها
ولا قيمة ولأنتم فوقه حتى الصباح .

ولكنه ما كاد يرقُدُ حتى سمع حركةً أقوى من الحركة الأولى
وأطول ، فأيقن أن في الصندوق شيئاً يتحركُ ، ولا بد أن يضيء البيت
ويفتحُه ؛ ولكنه لم يجد عنده مصباحاً ، وليس معه تقودٌ يشتري بها
مصباحاً ، فخرج إلى الحارة وصاح : يا أهل الحارة ! فانتبهوا على صياحه ،
وسألوه : ما شأنك يا خليفة ؟ ! وما تريد ؟ ! فقال : أعطوني مصباحاً أضئ
به داري ، فإن الجنَّ والعفاريتَ أرعبوني ، وطرّدوا النومَ عن جفوني ،
فضحكوا من قوله وأعطوه المصباح .

فدخل إلى الصندوق وكسرُ فُفله ، فانفتح ، ووجد به جاريةً

كانت القمر وضأةً وحُسناً ، وما كاد يخرجُها من الصندوق حتى تقايات ،
وأفاقت من غشيتها ، فقال :
من أنت أيتها الجارية ؟

فقالت : ألسنتُ في قصر الخليفة هارون الرشيد ؟!

فقال : أنت في بيت خليفة الصياد الفقير الذي لا يملك شيئاً ، وما
أنت إلا جاريته ، اشتريتك بمائة دينار ودينار ، وكنت في هذا الصندوق
وملأت على الدار خوفاً ورُعْباً قبل أن أفتحه ، ولكِنِّي الآن قد سمعتُ
حظي بوجودك .

فقالت : دعنا من هذا الكلام ، وأعطني شيئاً آكله ، فإنني أحسُّ
جوعاً شديداً .

فقال : ليس عندي طعامٌ ، ولا شربة ماء : ولم أذق الزاد منذ يومين .
فقالت : هل معك دراهم ؟

فقال : البركة في هذا الصندوق ، فقد دفعتُ جميعَ ما معي ثمناً له :
وأصبحت بسببه فقيراً ، لا أملك قليلاً ولا كثيراً .

فضحكت الجارية ، وأمرته أن يسأل جيرانه شيئاً يأكله ، فقام إلى الحارة
وصاح : يا أهل الحارة ! فانتبهوا وسألوه : مالك يا خليفة ؟ فقال : جوعان
وأطلبُ شيئاً آكله : فأعطاه هذا رغيفاً ، وهذا قطعة جبن ، وهذا بعض
التنشاء والخيار : ووضع كل ذلك في حجره ، ودخل به إليها ، وحطَّه بين
يديها ، وقال : كلي حتى تشبعي ، فضحكت وقالت : أخشى أن أغصَّ

بلقمةً ، وليس عندك ماء فأموت ، فحملَ جرتَه ، وخرج إلى الحارة ، وصاح
يا أهل الحارة ! فقالوا : ماذا جرى لك هذه الليلة يا خليفة ؟ ! فقال :
أعطيتُموني طعاماً فأكلتهُ ، وقد عطشت الآن وليس عندي ماء ؛ فنزل
إليه كثيرٌ منهم ، هذا بقُلَّتِه ، وهذا بإبريقه ، فلأجرتَه ودخل بها إلى
الجارية ، وقال : لم يبق لك حاجةٌ فكلّي واشربي ، وحدثيني عن
أمرِك ، فقالت :

اجلس واستمعْ ؛ أنا قوت القلوب ، جارية هارون الرشيد ، وقد
فعلتُ بي هذا زوجته السيدة زبيدة ، غيرةً مِنِّي ، لأنه كان يحبُّني حباً
شديداً ، وذلك لتبعدني عن قصر الخلافة ، وتستريحَ مِنِّي ؛ وسيكون هذا
سبباً في سَعَدِكَ وغناكَ ، من الخليفة هارون الرشيد .
فقان : أليس هو الرشيد الذي كنتُ محبوباً عنده ؟
فقالت : بلى .

فقال : ما أبخله ، وأقلَّ عقله !! لقد كنتُ عنده ، فضرَبني بالعصا
مائة ضربة ، ومنحني ديناراً واحداً ، ولكنَّ صندلاً أحد عبيده رآني
فأشفق بي ، وأعطاني ثمن السمك كيساً به مائة دينار ؛ اشتريت بها
جميعها هذا الصندوق ؛ أما الرشيد فلم أنل على يديه إلا الأذى والضرر ،
وقد علمته الصيدَ ، وشاركته ، فغدر بي وآذاني .

فقالت : دَعْ عنك هذا القول القاسي ، والتزم الأدب في مخاطبة الملوك ،
فإن اللسان أكثر إيلاماً من السيف ، وستكونُ ، إن شاء الله ، مقرباً

عند الخليفة ، مَوْفُورِ الحظوة لديه ، غَارِقًا فِي مَعْرُوفِهِ وَكَرَمِهِ ، وَأَوْصِيكَ
أَلَّا تَتَكَلَّمَ إِلَّا بِالْقَوْلِ الْجَمِيلِ الَّذِي يُحِبُّكَ إِلَى النَّاسِ ، وَلَا يُنْفَرُ أَحَدًا
مِنْكَ ؛ وَلَا تَخَاطَبِ الْخَلِيفَةَ إِلَّا بِمَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ عِبَارَاتِ الْأَدَبِ وَالاحْتِرَامِ ،
فَإِنَّكَ بِهَذَا تَصِلُ إِلَى مَا تَرِيدُ .

فَقَالَ : شَكَرَا لَكَ وَسَمِعَا وَطَاعَةً ؛ ثُمَّ نَامَا إِلَى الصَّبَاحِ .
وَلَمَّا اسْتَيْقَظَا وَأَدْيَا فَرَضَ الصَّبِيحُ طَلِبْتُ مِنْهُ دَوَاءً وَقِرْطَاسًا ، فَكَتَبَتْ
إِلَى التَّاجِرِ ابْنِ الْقِرْنَاصِ ، صَاحِبِ الْخَلِيفَةِ ، قِصَّتَهَا ، وَأَنَّهَا الْآنَ عِنْدَ
خَلِيفَةِ الصِّيَادِ ، ثُمَّ قَالَتْ : أَذْهَبُ إِلَى سُوقِ الْجَوَاهِرِ ، وَاسْأَلُ عَنْ كَبِيرِ
التَّجَارِ ابْنِ الْقِرْنَاصِ ، وَنَاوِلُهُ هَذِهِ الْوَرْقَةَ وَلَا تَتَكَلَّمَ .

فَلَمَّا أَتَاهَا سَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ سَلَامَهُ فِي اخْتِقَارٍ ، وَعَدَمِ حِفَاوَةٍ ؛ فَنَاوَلَهُ
الْوَرْقَةَ ، فَأَخَذَهَا وَلَمْ يَقْرَأْهَا ، وَأَمَرَ أَحَدَ غُلَامَانِهِ أَنْ يُعْطِيَهُ دِرْهَمًا ، لِأَنَّهُ
ظَنَّهُ سَائِلًا يُطَلَبُ مَعُونَةٌ ، فَقَالَ الصِّيَادُ : لَا حَاجَةَ بِي إِلَى الْمَعُونَةِ وَالصَّدَقَةِ ،
وَلَكِنِّي جِئْتُ إِلَيْكَ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْوَرْقَةِ ، فَاقْرَأْهَا ،

فَلَمَّا قَرَأَهَا ، وَعَرَفَ مَا فِيهَا ، قَبَّلَهَا ، وَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ ، وَنَهَضَ قَائِمًا
وَقَالَ : أَيَنْ يَدُتُكَ يَا أَخِي ؟

فَقَالَ : وَمَا تَرِيدُ بِيَتِي ؟ أَتَرِيدُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهِ لِتَسْرِقَ مِنْهُ جَارِبَتِي ؟
فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنْ لِأَشْتَرِيَ لَكَ طَعَامًا ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْبَيْتِ .

فَقَالَ : الْبَيْتُ فِي حَارَةٍ . . .

فَأَمَرَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبِيدِهِ أَنْ يَأْخُذَا مَعَهُمَا الصِّيَادَ إِلَى مُحْسِنِ الصَّيْرِفِيِّ ،

ويأمره أن يعطيه ألف دينار ، ثم يرجع به إليه مُسرِعِينَ .
 أَخَذَ الصَّيَّادُ الألف ، ورجع مع العبدِين إلى ابنِ القرْناصِ ، فوجدَه
 راكِبًا بغلةٍ قيمَتُها ألف دينار ، ويجوارها بغلةٌ مِثْلُهَا أَعَدَّهَا لِرُكُوبِ الصَّيَّادِ
 بَعْدَ رَجُوعِهِ ؛ ولما ركبها الصَّيَّادُ جعل وجهه ناحية ذنبها ، وأمسكه فنفزت
 ورمته على الأرضِ ولكنه لم يصبُ بضرٍ ؛ فضحكوا وهنَّأوه بِسلامته ،
 وتركه ابنُ القِرْناصِ في السَّوقِ ، وذهب مسرعًا إلى الخليفة وأخبره
 ما حصل لقوت القلوب ، ثم رجع وتقلَّها إلى بيته .

(٤)

ولما رجع الصَّيَّاد إلى بيته وجدَ أهلَ حارته مجتمعين ، وكانوا من قبل
 يقولون : إِنَّ هَذِهِ الجارية ستَكُونُ سببَ شِقَاتِهِ وَغَمِّهِ ، لَعَلَّهَا من أَقْرَبائِهِ ،
 رَبِّمَا كانت هاربة من بيت سيدها ، وَرَبِّمَا وجدَّها بالأمس في غِيَبَةٍ سُكْرِ
 فَحَمَلَهَا إلى بيته .

ولما رأوه قادمًا أقبلوا عليه ، وقالوا : أَمَا علمتَ ما جرى في بيتك ؟
 فقال : لم أعلم شيئًا ، وماذا جرى ؟
 فقالوا : حضرَ هذه الساعة جماعةٌ من المماليك فأخذوا جاريَتَكَ ، ومضوا
 بها إلى سبيلهم ، وبحثوا عنك فلم يجدوك .
 فقال واحدٌ منهم : ولو وجدُّوه لقتلوه .
 فلم يلتفتْ إلى أحدٍ منهم ، ولكنَّه رجع مسرعًا إلى دكان ابن

القرناص ، فوجدَهُ راكبًا بغلته ، فقال له : ما كان يصحُّ أن ترسلَ عبيدك إلى داري ، فيخطفوا جاريتي التي اشتريتها بمالي .

فقال ابن القرناص ، تعالَ معي ، وسترى ما يسُرُّك ، وتستريح له ؛ وذهب به إلى داره ، وكانت نخمة البناء ، عابها أمارات العظمة والغنى ، انتصبَتْ كالْفَجُورِ المعجب وسط حديقة ذات أشجارٍ وأفنانٍ ، ووُرُودٍ وأزهار ، تجري من تحتها الأنهار ، وهناك وجدَ الجارية جالسةً على سرير من ذهب ، ومن حولها وتحت أمرها ، عشرُ جوارٍ كأنهن الحور العين . فقالت لابن القرناص : ماذا فعلتَ بِسَيِّدِي الجديد الذي نقلتني من داره واشتراني بجميع ماله .

فقال : ها هو ذا ، وحكى لها قصته .

فقالت : إذا كنت قد أعطيتَه في ألف دينارٍ ، فهذه ألف دينارٍ أخرى هبةً مِنِّي إليه ، إذ كان سببًا في إنقاذي ودوام حياتي .

وبينما هم كذلك إذ أقبلَ رسولُ أميرِ المؤمنين يطأُ قوتَ القلوب أن تذهبَ إليه ، فلمَّا كانت بينَ يديه فرحَ بها ، وسألها عن حالٍ من اشتراها . فقالت : إنَّه خليفةُ الصياد ، وله مع أميرِ المؤمنين حسابٌ في شركة ، وهو واقفٌ الآن بالباب ؛ فأمر الرشيدُ بإحضاره بين يديه ، فلمَّا جاء حيًّا في أدبٍ ، ودعاه بدوام العزِّ والسعادة ، ثم سأله الخليفة :

هل كنتَ بالأمسِ شريكِي ؟

فقال له الصياد : قصّني غريبة ، وسيُسرُّ لها أمير المؤمنين إن أُذِنَ لي بقولها .

فقال : اقصّص علينا ما تشاء .

فقصّ على الخليفة ما جرى له من أوله إلى آخره ، فأمر له بخمسين ألف دينار ، وخِلعةٍ مُلوّكية ، وبغلةٍ ، وعبيدٍ يخدمونه ؛ وأمر له بمرتّب شهرىٍ مقداره خمسون ديناراً . وجعله بما أفاضَ عليه من مالٍ من أعيان الدولة ووجّهاً ؛ وقال : إنّ ما فعلَ بالجارية من تذييرِ السيدة زبيدة . فحرّزَ ذلك في نفس الخليفة وغيضَ عليها وهجرها مدّة ؛ فاغتمت لذلك وأيقنت أنّها أخطأت ، فجعلت تُفكّر في وسيلةٍ ، تَسحُّ بها غضب الخليفة وتألّمه منها ، فلم تجد إلا أن تكتبَ إليه معترفةً بذنبها ، معتردةً تائبَةً ، ترجو منه العفو والمغفرة ؛ فلمّا لمَحَ في كتابها توبةً خالصة قال في نفسه : إنّ الله يغفرُ الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم ؛ وبلغها أنه قبلَ عُذرَها ورجاءَها ، وعفأ عنها ، ففرحتُ بذلك فرحاً عظيماً .

وبينما خليفة الصياد خارجٌ رآه المملوكُ صندل ، فسأله : من أين لك هذا الخيرُ الكثيرُ ؟

فقال : من فضل الخليفة .

فقال : ألا تَهَبُ لي شيئاً منه ؟

فدّ يده إليه بكيس فيه ألف دينار ، فقال العبدُ : شكراً لك وقد ردّته إليك تقديرًا لمرورِ تلك وكرمك وكرم خُلعتك .

ولمّا دخل الصيّادُ سُوقَ المدينة راكباً بَغْلَتَهُ ، لاِبِسًا خُلْعَتَهُ المملوكية ،
ومن حوله العبيد والغلمان — عَجِبَ الناسُ من حاله ، وسألوه عن أمرِ
الجديد ، فحكى لهم قصّته ، ثم اشترى له داراً كانت لأحدِ الأغنياء
المترفين ، وأنفق في تجميلها ما جعلها عروساً بين الدور والقصور ؛ فأقام فيها
وجعل يزورُ الخليفة من حينٍ إلى حين ، والخليفة يشمله بفضله ومحبته ،
وما زال يتقلبُ هو وزوجُه في نعمةٍ من العيشِ ورخائه ، حتّى جاءهم أمرُ
الله المحتوم ، وسبحان الحيِّ الدائم القيوم .



التاجرُ والعِفْرِيتُ

زَعَمُوا أَنَّ تاجِرًا مَدَّ عَلَيْهِ السَّعْدُ ظِلَّهُ الْوَارِفَ ، فَكَثُرَ مَالُهُ ، وَاتَّسَقَ
حَالُهُ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ ، يَبْتَغِي بِتِجَارَتِهِ فَضْلَ
اللَّهِ وَرِزْقَهُ .

وَذَاتَ يَوْمٍ رَكِبَ دَابَّتَهُ ، وَغَادَرَ بَلَدَتَهُ ، إِلَى بَلَدٍ آخَرَ ، لَهُ فِيهِ
مَطْلَبٌ ، كَابْتِياعٍ أَوْ اعْتِيَاظٍ أَوْ غَيْرِهَا ، وَلَمَّا أَجْهَدَهُ السَّيْرُ ، وَنَالَ مِنْهُ
سُعَارُ الْهَجِيرِ ، رَأَى فِي سَبِيلِهِ شَجَرَةً مُنْعَزَلَةً ، فَأَمَّا وَحَطَّ الْخَرْجَ عَنْ
ظَهْرِ دَابَّتِهِ ، وَجَلَسَ تَحْتَهَا لِيَأْخُذَ جِمَامَهُ ، وَيَنْشِقَ نَسِيمَ الرَّاحَةِ ، ثُمَّ
يَسْتَأْنِفَ مَسِيرَهُ ، وَكَانَ قَدْ أَحْسَسَ جَوْعًا ، فَأَخْرَجَ تَمْرَةً مِنْ خُرْجِهِ
وَأَكَلَهَا ، وَأَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ نَوَاتَهَا ، وَإِذَا بِعِفْرِيتٍ مِنَ الْجِنِّ قُدَّامَهُ ،

يرسلُ من عينيه شواظاً من نار ، ويبيده سيف تتقاطرُ سكينَةُ الموتِ
من حَده ، وامتدَّ العفريتُ في نظر التاجرِ طولا وعرضا ، ثم انحنى
عليه قائلاً :

لقد حقَّ عليك عاجلُ الفناء ، بما قتلتَ ولدى ظُلما وعُدوانا .

فانزوى التاجرُ في نفسه خوفاً ورُعْباً وقال :

لم أَقترفْ جَرِيمةَ قتلٍ في حياتي ، وأَبغضُ شَيْءٍ إلى القتلِ ظُلما ، وما
فعلتُ الآنَ شيئاً ، ولكنِّي أَكلتُ تَمرةً ، فكيفَ قتلْتُ ابْنَكَ ؟

فقال العفريت :

أَلقيتَ نواةَ التمرة على الأرضِ بِقُوَّةٍ ، فجاءتْ في صدرِ ابْنِي فَقُضِيَ
عليه ، وقد كتبَ العدلُ بين الناسِ أَنَّ النفسَ بالنفسِ ، والعينَ بالعينِ ،
والأذنَ بالأذنِ ، والسنَّ بالسنِّ ، والجروحَ قِصاصاً .
فقال التاجر : ولكني ما رأيته ، وما قصدتُ قتله .

فقال العفريت : ولكنك تعلمُ أنَّ مِنْ حَوْلِكَ خَلْقاً لا تراهم وهم
يَرَوْنَكَ ، وأنتَ قد أَلقيتَ النواةَ بقوة ، وكنتَ قادراً على أن تضعها
بجانِبِكَ أو أمامَكَ ، فسكنَ التاجرُ سكونَ الماءِ العميقِ ثم قال :

وما دُمتَ قد ذكرتَ العدلَ ووَدِدْتَ تنفيذه ، فإنِّي أعتصمُ به
أيضاً ، وأطلبُ إليك بِحُكمِ العدلِ حاجةً .

فقال العفريت : وما هي ؟

فقال : إني تاجرٌ ذو مالٍ كثيرٍ لدى حُرَفائي ومن يُعاملونني ،



وَالْعَبْرَى مِنَ الْمَالِ عِنْدِي مِثْلَ مَا لِي عِنْدَ غَيْرِهِمْ ، وَلِي زَوْجَةٌ وَأَوْلَادٌ ،
فَدَعْنِي أَرْجِعْ إِلَى بَيْتِي ، لَا كَتَبَ وَصِيَّتِي بَيْنَ أَهْلِي ، وَأُرِدُّ الْحَقَّ إِلَى
أَهْلِهِ ، وَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، وَلَكَ عَلَى عَهْدِ الصَّادِقِينَ أَنْ أَعُودَ
إِلَيْكَ فِي هَذَا الْمَسْكَنِ ، فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ مِنَ السَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ ، لِتَفْعَلَ بِي
مَا تُرِيدُ ، فَأَخَذَ الْعَفْرِيثُ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

انْقَلَبَ التَّاجِرُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَالْهَمُّ يَعْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ ، وَقَصَّ عَلَيْهِمْ
مَا جَرَى لَهُ ، فَانْكَفَأَ لَوْنُ الْحَيَاةِ فِيهِمْ ، وَحَالَفَهُمْ حُزْنُ عَمِيمٍ أَبَاسِهِمْ ، بِمَا
وَجَدُوا مِنْ إِصْرَارِ التَّاجِرِ — وَهُوَ مُشْرِقُ سَعَادَتِهِمْ ، وَأَحْبَبُّ النَّاسِ إِلَى
نَفْسِهِمْ — عَلَى الْوَفَاءِ بِمَا عَاهَدَ الْعَفْرِيثَ عَلَيْهِ .

وَفِي الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ، اجْتَمَعَ بِهِ أَهْلُهُ وَذُرْوُهُ ، وَودَّعُوهُ فِي عَاصِفَةٍ مِنْ
أَوَاحٍ وَبُكَاءٍ ، وَجَهَلَ كَفَنَهُ ، وَرَكِبَ سَمَتَهُ ، إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ الْمَعْرُوفَةِ ،
وَهُنَاكَ جَلَسَ تَحْتَهَا فِي كَأَبَةٍ وَحَسْرَةٍ ، مُسَلِّمًا إِلَى اللَّهِ أَمْرَهُ ، رَاجِيًا أَنْ
يَرْعَاهُ وَيَحْفَظَهُ .

وَمَا لَبِثَ قَلِيلًا حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيْهِ شَيْخٌ كَبِيرٌ ثُمَسَكَ زِمَامَ غَزَالَةٍ يَجْرُهَا
مِنْ خَلْفِهِ ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ ، ثُمَّ قَالَ :
لَعَلَّكَ أَوَيْتَ إِلَى كَنْفِ الشَّجَرَةِ لِلرَّاحَةِ ؟

فَقَالَ : وَمَنْ فِي الدُّنْيَا مُسْتَرِيحٌ ؟ ! ! إِبْكَلُ امْرَأَتِي فِيهَا شَأْنٌ يُغْنِيهِ ،
وَنَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ .

فَقَالَ الشَّيْخُ : وَمَا شُغْلُكَ الْآنَ ؟

فقال : ما يشغلُ كلَّ حيٍّ في دنياه ، ويَبْذُلُ النفيسَ دونه .
 فقال الشيخ : لعلّ واحدٌ عندك رغبةٌ في أن تطلعني عليه ، فعسى أن
 أن يكونَ لدىَّ من العونِ ما ينقّسُ عنك كُربته ؟
 فقص التاجرُ عليه قصته فأكبرَ الشيخَ دينَ التاجرِ ووفاءه وقال :
 لا أبرحُ عنك حتى أرى حكمَ القدرِ فيك ، وأنتَ على ما أرى من
 الدينِ والتقوى .

وبينما هما يخوضان في مذاهبِ الحديثِ وفنونه ، إذ جاءهما شيخٌ ثانٍ ،
 يقودُ كابتين سوداوين ، خبيّاتٍ وانتظم في مجلسهما ، ثم قال :
 لأمرٍ ما جلستما في تلكَ البقعةِ ، وهى مأوى المفاريتِ والمردة ؟ !
 ولما أخبراه الأمرَ عجبَ وقال :
 ولن أزيلَ هذا المكانَ حتى أقفَ على مصيرِ ذلكَ التاجرِ المسكينِ ،
 وأعرفَ آخرَ صدقهِ ووفائهِ .

وبعد فترةٍ غير طويّلة ، جاءهم شيخٌ ثالثٌ ، ومعه بغلةٌ في ربيعِ حياتها ،
 فانخرطَ معهم بعد أن حيّاهم ، وعرف قصةَ التاجرِ منهم ، وأصرَّ على أنْ
 يلبثَ فيهم حتى يرى ما سيكون .

وافَّ الأربعة سكونٌ عميقٌ ، بعثهم من رقدِهِ رؤيةٌ غيرةٌ كشيقةٍ ،
 تدنو منهم سريماً ، وانكشفَ حلكُها عن ذلكَ المفريتِ الذى جاءهم
 بسيفه ، ليقتصَّ من التاجرِ ويثَّارَ لابنه ، وما أسرعَ أن جذبَه بِشِماله ، من
 بين أصحابه ، وقال :

لقد كنتُ أرتقبُ يومكَ هذِ بِصَبْرٍ ثَقِيلٍ ، وَهَمٍّ عَظِيمٍ ، فَتَقَمُّ لِأَفْضَلِ
بَسِيفِي هَذَا رَأْسَكَ عَنْ جِسْمِكَ جِزَاءً بِمَا قَدَّمْتُ يَدَاكَ مِنْ قَتْلِ ابْنِي ظَلَمًا .
فَضِجَّ الشَّيُوخُ الثَّلَاثَةُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْغَزَالَةِ ، وَقَبَّلَ يَدَهُ
وَقَالَ :

أَيُّهَا الْعَفْرِيتُ الْعَظِيمُ ، أَتَهَبُ لِي ثَلَاثَ دُمُ هَذَا التَّاجِرِ إِنْ أَنَا قِصَصْتُ
عَلَيْكَ قِصَّةَ عَجِيبَةٍ ؟

وَكَانَ هَذَا الْعَفْرِيتُ مُشْغُوفًا بِالْوُقُوفِ عَلَى عَجَائِبِ الْحَيَاةِ وَغَرِيبِهَا —
فَأُلْفَى هَذَا الرَّجَاءُ هَوًى عِنْدَهُ ، وَجَلَسَ عَلَى رَغْبَةٍ يَسْتَمَعُ لِقِصَّتِهِ ، وَاعْدَأَّ
إِيَّاهُ أَنْ يُجِيبَ طَلِبَتَهُ ، إِنْ وَقَعَتْ مَوْقِعَ الْعَجَبِ مِنْ نَفْسِهِ .

قَالَ الشَّيْخُ : هَذِهِ الْغَزَالَةُ الَّتِي تَرَاهَا ابْنَةُ عَمِّي تَزَوَّجَتْهَا عَنْ مَحَبَّةٍ صَادِقَةٍ ،
ازْدَهَرَتْ بِهَا حَيَاتُنَا الزَّوْجِيَّةُ ، وَلَبِثْتُ مَعَهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً ، لَمْ تُرْزَقْ فِيهَا
بِابْنَةٍ أَوْ وَلَدٍ ، ثُمَّ وَقَعْتُ لِي فِي بَعْضِ الْبِلَادِ الَّتِي أُغْتَمِرُهَا ، جَارِيَةٌ مُشْرِقَةٌ
الْوَجْهَ ، وَضَاءَةُ الْجَبِينِ ، يَنْمُ دَلُّهَا عَنْ دِينَ طَاهِرٍ يَجْرِي فِي قَلْبِهَا ، وَيَسْمَعُ
مِنْ مَسَامٍ جِسْمِهَا ، فَاشْتَرَيْتُهَا وَجِئْتُ إِلَى بَيْتِي بِهَا ، وَبَعْدَ سَنَةٍ مِنْ
مَقَامِهَا رَزَقْتُ مِنْهَا بَوْلَدٍ ، كَانَ قُرَّةَ الْعَيْنِ ، وَثَمَرَةَ الْحَيَاةِ ، فَجَعَلَ يَتَقَلَّبُ
عَلَى مِهَادِ النِّعْمَةِ ، بَيْنَ يَدَيِ أُمِّهِ وَأُمِّهِ ، حَتَّى زَكَ عَوْدُهُ ، وَاسْتَوَى جَمَالُهُ ،
وَبَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً .

ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَى إِحْدَى الْمَدَنِ ، وَمَعِيَ بِضَاعَتِي الَّتِي أَتَجَرُّ فِيهَا ، تَارِكًا
بَيْتِي وَفِيهِ ابْنِي رَجَاءَ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَعُمُرِي الْمَحْدُودَ ، وَمَنْ أَحَبُّ مِنْ أَجْلِهِ

السعى والحياة ، وكانت ابنة عمى هذه على معرفة واسعة بالسحر والكهانة ، فانهزت غيبتى ، وبدلت ابنى بسحرها عجلا ، كما بدلت أمه بقرة ، وأسلمتهما إلى الراعى ، وهو لا يعلم من أمرهما شيئا ، ولما حضرت بعد غيبتى الطويلة ، لم أجدهما قد حضرا لاستقبالى وتهنئتى بسلامة عودتى ، فسألت عنهما ابنة عمى ، فقالت : أمّا جاريّتك فقد ماتت ، وأمّا ابنك فلم يُطق صبرا على فراق أمه ، فخرج ولم يعد ، ولا ندرى له مذهباً ولا مكاناً ، ولما كنت لا أستريح فى خبرها انقلب البيت فى نفسى وحشة ، وفى عيني ظلمة ، وخفق قلبى ألماً وحسرة ، وضرعت إلى الله أن يلهمنى الصبر ، ويدفع عني كل بلاء وضرر .

ولما جاء عيد الضحايا أمرت الراعى أن يحضر بقرة ، لأذبحها ضحية ، أتقرب بها إلى الله ، وأنفس بلحمها عن الفقراء صنك الفقر وكرهته ، فجاءنى ببقرة سمينة ، وكانت البقرة جاريّتى التى بدلت خلقها بالسحر ابنة عمى ، ولما هممت بها أن أذبحها ، خارت خواراً غريباً ، لم أعهد من قبل فى بقرة ، وأحسست من نفسى صداً عن مباشرة ذبحها ، فوكلت أمرها إلى الراعى ، ولما ذبحها لم يجد فيها إلا عظماً وجلداً ، فأصابنى من الألم لذبحها ما أصابنى ، وأمرته أن يأتى بعجل سمين ، فجاء بولدى المسحور ، فآرائنى حتى فاضت عيناه دموعاً ، وألقى بجسمه أمامى ، فى ضراعة المستغيث ، ومذلة الراجى ، فأخذتنى الشفقة به ، وأمرت الراعى أن يبقيه ، ويعرض عن ذبحه ، وألحت ابنة عمى على أن أذبحه ، فلم يجد

إلحاحها في نفسى شيئاً ، وعكفتُ في بيتي ، أتقلبُ على فراشٍ من الحيرةِ
والدهشة ، حتى صباح اليوم التالي .

وبينما أنا جالس في بيتي ، متلفعٌ بفضل دهشتي ، إذ أقبل الراعى خيلاً
وقال : جئتُك نبياً يسركَ ، ولى البشرى عندك ، فقلت : لك ما تشاء ،
إن صرف عني نبؤك ما أقاسيه من بلاء ؛ فقال : لى بنتٌ تعلمت السحرَ في
صغيرها من جدتها لأمها ، ولما دخلتُ أمس بالعجل عليها غطت وجهها ،
وبكتُ ثم ضحكتُ وقالت : أمهن قدرى عندك يا أبى ، فتدخلَ على
الأجانب من الرجال ، يظهرونَ على عوارتنا ؟ فقلت لها : وأين الرجالُ
يا بنتي ؟ فقالت : ذلك الذى تمسكُ زمامه بيدك ، وتجره من خلفك ،
فقلتُ : وكيف كان ذلك ؟ فقالت إن العجل الذى معك ، ابنُ التاجرِ
سيدك ، مسختهُ زوج أبيه بسحرها عجباً ، كما مسختُ أمه بقرة ، وذلك
ما أضحكنى ، أما الذى أبكاني فذبحكُم أمه يوم العيد ؛ وقد عجبتُ إليك
بهذه البشرى .

لم أطق صبراً ونهضتُ فرحاً إلى دارِ الراعى ، لأستوثق من ابنته ،
وهناك أكدت أن هذا العجل ابني ، وأنها تستطيع إرجاعه بشراً
سويًا ، فقلت : ولك إن فعلت هذا ما تحت يد أهلك لي من مالٍ ،
فقالت : وعلى أن تزوجني به ، وأن أسحرَ ابنة عمك فأمسخها غزاةً ،
حتى آمنَ من شرها وكيدها ، فقلت : ولك ذلك ومعه عظيم شكرى .

قامت ابنة الراعى وأحضرت وعاءً به قليل من الماء ، وقرأت عليه



ما شاءت ، ثم رشت العجلَ به قائلة : إن كنت خلقت عجلاً فدمٌ على
 حالك ، وإن كنت مسحوراً فدمٌ كما كنت بشراً سويّاً ، بإذن الله
 تعالى ؛ فانتفض العجلُ إنساناً في خلقه القويم ، وصورته الأولى ، فضممته
 إلى صدرى ، وأجلسته بجانبي ، وطلبتُ إليه أن يحكى لي ما جرى له
 ولأمّه في غيبتى فقصّ علىّ ما سمعته منى ، وقد زوجته ابنة الراعى ،
 ومسختُ هي ابنة عمى غزالة ، وهى التى تراها الآن . وقد وقينا كيدها وشرها
 بمسخها ، ولأنها ابنة عمى ، وكانت زوجى ، فمازلتُ بها رءوفاً ، ولها
 وِفياً كريماً ، فلا أفرقها في مَعْدَى ومَراحى ، حتى يوافيها أجلها ، وهذه
 قصة الغزالة ، ولعلها وقعتْ موقع العجب من نفسك ؛ فقال العفريت :
 وقد وهبتُ لك ثلث دم التاجر .

وتقدم الشيخُ الثانى ، فقبّل يد العفريت ، ورجا منه أن يُنّ عليه كما
 منّ على صاحب الغزالة من قبل ، فيمنّحه ثلث دم التاجر إن سردَ قصةً
 لا تقلُّ في غرابتها عن قصة الغزالة ، فقال العفريت : لا مانع لى من أن
 أمتعك ما طلبت ، إن وجدتُ في قصتك غرابةً ومُتعة ، فقال الشيخ :

توفى أبى عنى وعن أخوين شقيقين ، وورثنا ثلاثة آلاف دينار ،
 تخذناها منبّع كسبٍ وربح ، بالعمل بها في التجارة ، وكان لى كلِّ منا
 دكانٌ في المدينة ، يبيع فيه بضائمه ، فيدرُّ عليه ربحاً وفيراً ينعمه ، ويزيد
 رأسَ ماله .

ولكنّ أخوىّ لم يقنما بذلك ، فقادهم الطمع في ربحٍ أكثر ، إلى

أن يذهبوا ببضائعهم إلى أسواق البلاد والمدن القريبة والبعيدة ، وكثيراً ما كانوا يرجعان منها بخفي حنين ، فيجدان من عطفي عليهما وإمدادهما بحال ، ما يكفل لهما الاستمرار في تجارتها ، وصالح حالهما ، مادامتا مقيمين في المدينة .

وذات مرة أغرياني بالسفر معهما ، حتى نزلت على رأيهما إشفافاً ورحمة ، ولكنني أشرت عليهما أن نقسم أموالنا قسمين متساويين ، قسم نأخذه معنا وقسم ندفنه في بيت من بيوتنا ، ليكون مدداً لنا وعوناً ، إذا أخفق مسعانا ، وكتب الضياع على ما في أيدينا من الأموال ؛ فرضياً بذلك ونفذناه .

رزمنا بضائع بثلاثة آلاف دينار ، وأودعناها مركباً ، أقلنا إلى مدينة عامره ، نفقت فيها سوق بضاعتنا ، فبعناها وربحنا ربحاً وفيراً ، وأخذنا في العودة إلى مدينتنا .

وبينما نحن على شاطئ البحر في انتظار المركب ، إذ أقبلت على جارية تلبس خلقاناً بالية ويدل شكلها على بؤسها ، وحاجتها إلى الرفق والمعونة ، فقالت :

يا سيدي ، ألا أجدُ عندك من الإحسان ما أجزيك به ؟
فقلت : لدى من الإحسان ما تشائين ، ولا أريدُ منك جزاء ولا شكورا .

فقالت : لا يزهديك في ما تراني عليه من بؤس وفاقة ، فإنني أحفظ

الجميل وأردّه إلى صاحبه أضعافاً مضاعفة ، تخفق قلبي من أجلها ، خفقان
محبةٍ لها ، وعطفٍ عليها ، وقلت :
أيدي عن مقصديك ، فلكِ عندي ما نطلبين .

فقلت . أن تزوجني وأصحبك إلى بلدك ، وقد وهبتُ لك نفسي على
مشهدٍ من هذين الرجلين — وأشارت إلى أخويّ — فقبلتُ منها قولها ،
ولبيتُ رغبتهما ، وبدأتُ حالها من بؤسٍ إلى نعيم ، ومن ذلةٍ إلى عزةٍ ،
وعنيتُ بها ونحن في المركب عناية عظيمة .
فدبّ ديبُ الحسدِ في قلبِ أخويّ ، وطمعاً في مالي وزوجتي ،
وزينَ لها الشيطان قتلي .

وبينما أنا نائم في المركب بجوار زوجي ، أقبلاً على ، وحملائي في
رفق ، ورمياني في البحر ، فأحسست ذلك زوجي ، فهبت من نومها منزعجة ،
وانقلبت في الحال جنّية ، وحملتني في الحال إلى جزيرة ، وألبستني ملابس
أخرى جافة نظيفة ، وقالت :

أنا زوجك التي أحسنت إلىّ وتزوجتني ، رماك أخواك في البحر
وأنت نعيم ، ليقْتُلَكَ طمعاً في مالك ، وقد نجيتُكَ من الغرق جزاءً بما
قدّمتُ يداك من إحسان ، وأنا جنّيةٌ مؤمنة بالله ورسوله ، وقد عزمْتُ
على قتلِهما ، بما اجترحا من سيئة القتل المنكرة .

فقلت : ولكنهما أخوأي ، ويحزُّني أن أراها في مكروه ، مهما



يَكُنْ مِنْهُمَا لِي مِنْ إِسَاءَةٍ ، وَالْمُؤْمِنُ مِنْ جَزَى الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ ، وَوَكَّلِ
الْمُسِيءَ إِلَى رَبِّهِ .

فَقَالَتْ : مَا دِمْتُ كَارِهًا قَتَلَهُمَا فَسَأْتُ رَكُوعًا مِنْ أَجْلِكَ ، ثُمَّ حَمَلْتَنِي إِلَى
دَارِي ، فَأَخْرَجْتُنِي مَا كُنْتُ فُودَ دَفْنَتُهُ فِيهَا مِنَ الْمَالِ ، وَابْتَعْتُ بِهِ بِضَائِعَ
وَضَعْتُهَا فِي دُكَّانِي ، لَا تُبْجَرُ فِيهَا كَمَا كُنْتُ مِنْ قَبْلِ .

وَلَمَّا أَدْبَرَ النَّهَارُ وَعُدْتُ إِلَى دَارِي ، وَجَدْتُ هَذَيْنِ الْكَلْبَيْنِ مَرْبُوطَيْنِ
فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا ، فَلَمَّا رَأَيْتَنِي تَلَهَّفَا عَلَيَّ وَبَكَيَا بَكَاءَ يَشُقُّ الْمَرَّاثَ ، فَأَسْرَعْتُ
إِلَى زَوْجِي وَقَالَتْ :

هَذَانِ الْكَلْبَانِ أَخَوَاكَ ، اللَّذَانِ خَانَاكَ ، وَأَلْقِيَاكَ فِي الْبَحْرِ لِتَفْرَقَ
وَتَهْلِكَ ، ذَهَبْتُ إِلَى أُخْتِي ، وَقَصَصْتُ عَلَيْهَا خِيَاتَهُمَا وَسُوءَ فَعْلَتُهُمَا ،
فَمَسَحَتْهُمَا بِالسَّحَرِ كَلْبَيْنِ ، عَلَى أَلَّا يَعُودَا إِلَى صُورَتِهِمَا الْأُولَى إِلَّا بَعْدَ
عَشْرِ سَنِينَ ، وَلَمَّا انْتَهَتْ الْمُدَّةُ — يَاسِيدِي الْعَفْرِيَّتِ — أَخَذَتْهُمَا إِلَى
أُخْتِ زَوْجَتِي ، لِتُعِيدَهُمَا سِيرَتَهُمَا الْأُولَى ، فَوَجَدْتُ وَأَنَا سَائِرُ ذَلِكَ التَّاجِرِ
وَهَذَا الشَّيْخِ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، فَسَأَمْتُ عَلَيْهِمَا وَجَلَسْتُ قَلِيلًا ، وَلَمَّا
عَرَفْتُ مِنْهُمَا أَمْرَ التَّاجِرِ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَمْكُثَ مَعَهُمَا حَتَّى أَقِفَ عَلَى
مَصِيرِهِ ؛ فَقَالَ الْعَفْرِيَّتِ : وَأَرَى أَيْضًا فِي قِصَّتِكَ غَرَابَةً ، وَلِهَذَا وَهَبْتُ
لَكَ ثَلَاثَ دِمَمَةٍ .

وَأَقْبَلَ الشَّيْخُ الثَّلَاثُ عَلَى الْعَفْرِيَّتِ وَقَبَّلَ يَدَهُ ، وَقَالَ : أَرْجُو أَنْ
فَصَصْتُ عَلَيْكَ مَا هُوَ أَعْجَبُ وَأَغْرَبُ ، أَنْ تَهْبِ لِي الْبَقِيَّةَ الْبَاقِيَةَ مِنْ دَمِهِ ،

فقال : هاتِ ما عندك والحكمُ بعد أن نَسْمَعَ . فقال الشيخ : تزوجتُ من فتاة ساحرة القوام ، فاتنة الجمال ، وعاشت بها بالمعروف والحسن ، فلم تجد مِنِّي إلا حبًّا وإخلاصًا ، وبرًّا ووفاءً ، وقد اطمأنتُ إليها ، فلم أسترب في سلوكها

وفي يوم دخلتُ عليها الدَّارَ في وقتٍ لم تكنُ تتوقَّعُ مجيئي فيه ، فألفيتُ معها في الدار عبدًا أسود ، وتلك حالُ تبعث في النفس الشبهة والظنة ، فأمحتُ في عيني سوء ظن بها ، وأنى محاسنها على فعلتها ، التي أثارت في جوانب نفسي الظنونَ بها ، وكانت في السحر ماهرة ، فأحببتُ أن تخلص من هذه الورطة ، وتُقبِرَ في مَهْدِها تلك الفعلة ، فرشَّني بماءٍ كانت قد أعدته ، وقالت : تبدِّلْ أيها الزوجُ الماكرُ من إنسان إلى كلب مَهين ، ثم أوجمتني ضربًا بالعصا ، وطردتني من بيتي على أسوأ حال .

خرجتُ من بيتي كلبًا أقناتُ من الجيف والقمامات ، حتى وقفتُ أمام جَزَار ، وجعلتُ أرتقبُ ما يُلقيه من عظمٍ ونحوه فألتقمه ، في مسكنةٍ ومذلة ، ولحمتُ من الجزارِ إشفاقًا بي وعطفًا عليَّ ، فمكفتُ يومى رابضًا أمامه ، ولما انتهى من عمله ، أخذني معه إلى بيته ، وما كادتُ ترانى بنته ، حتى عرفتُ أمرى على حقيقته ، إذ كانت في السحر بارعة فقالت لأبيها : لقد أحسنتَ حيثُ لا تقصِدُ الإحسانَ ولا تدريه ، وجَرى الخير على يدِكَ ولم تسكنُ تبتغيه .

فقال : وكيف كان ذلك يا بنيَّتى ؟ !

فَقَالَتْ : ذَاكَ الْكَلْبُ الَّذِي جِئْتُ بِهِ رَجُلٌ مَسْحُورٌ ، وَيَغْلِبُ عَلَى ظَنِّي أَنَّ زَوْجَتَهُ هِيَ الَّتِي سَجَرَتْهُ لِأَمْرِ فِي نَفْسِهَا ، وَإِنِّي لِقَادِرَةٌ عَلَى أَنْ أُعِيدَهُ إِنْسَانًا ، لَتَعْرِفَ مِنْهُ صَدَقَ مَا أَقُولُ ، فَقَالَ : وَلَكِ الْمَثُوبَةُ الْعَظِيمُ ، وَالْحَزَاءُ الْأَوْفَى : فَأَحْضَرْتُ قَلِيلًا مِنَ الْمَاءِ ، وَجَعَلْتُ تَمْرًا بِأَصْبِعِيهَا فِي نَوَاحِيهِ وَتَقْرَأُ مَا تَقْرَأُ ، ثُمَّ رَشَتْنِي بِهِ ، فَانْقَابَتْ إِنْسَانًا بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمَا حَامِدًا شَاكِرًا ، وَقَصَصَتْ عَلَيْهِمَا قِصَّتِي ، ثُمَّ رَجَوَتْ ابْنَةَ الْجَزَارِ أَنْ تَسَاعِدَنِي عَلَى مَسِيحِ زَوْجَتِي بَغْلَةً . فَأَعْطَتْنِي وَعَاءً بِهِ قَلِيلٌ مِنَ الْمَاءِ وَقَالَتْ انْفُخْ جَسَمَهَا بِهَذَا الْمَاءِ وَهِيَ نَائِمَةٌ ، وَأَنْتِ تَقُولُ : كُونِي بَغْلَةً بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

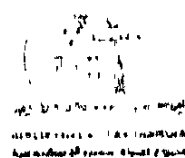
خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ الْجَزَارِ فَرَحًا ، وَاتَّهَزَتْ فُرْصَةً تَكُونُ فِيهَا زَوْجَتِي نَائِمَةً ، وَنَفَذْتُ مَا أَشَارَتْ بِهِ عَلَيَّ ابْنَةُ الْجَزَارِ ، فَصَارَتْ بَغْلَةً بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ الْبَغْلَةُ الَّتِي مَعِيَ الْآنَ : فَالْتَفَتِ الْعَفْرِيْتُ إِلَيْهَا قَائِلًا : أَصَحِّحُ مَا قَالَ ذَلِكَ الشَّيْخُ ؟ فَطَامَنْتُ بِرَأْسِهَا إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ حَقٌّ مَا قَالَ ؛ فَعَجِبَ الْعَفْرِيْتُ وَوَهَبَ لَهُ الْبَقِيَّةَ الْبَاقِيَةَ مِنْ دَمِهِ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ، وَذَهَبَ كُلُّهُ إِلَى شَأْنِهِ .

وَرَجَعَ التَّاجِرُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، فَاسْتَقْبَلُوهُ فَرَحِينَ ، وَقَصَّ عَلَيْهِمْ مَا جَرَى لَهُ ، فَعَامُوا أَنَّ اللَّهَ يَدَافِعُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ .

١٩٩١ / ٣٤٤٧	رقم الإيداع
ISBN 977 - 02 - 3239 - 4	الترقيم الدولي

١ / ٩٠ / ١٧٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



General Organization of the Alexandria Library (GLAX)

Bibliotheca Alexandrina

الف ليلة وليلة

هذه طبعة جديدة من هذه المجموعة التي تنتمي إلى التراث الشعبي.. والتي نالت إهتماماً عالمياً في الشرق والغرب.. وترجمت إلى كل لغات العالم..

وتمتاز هذه الطبعة بحسن الصياغة التي تناسب عقول الشباب والناشئة.. وتخلو من الشوائب التي توجد في طبعات كثيرة..

إنها واحدة من عيون التراث الذي تحرص دار المعارف على تقديمه إلى القارئ العزيز..

صدر منها :

- | | |
|----------------------|-----------------------------------|
| ١ - شهرزاد ودنيا زاد | ٧ - عبدالله البري وعبدالله البحرى |
| ٢ - السندباد البحرى | ٨ - أبو الحسن وجاريته تودد |
| ٣ - قمر الزمان | ٩ - الحصان المسحور |
| ٤ - الصياد والعفريت | ١٠ - على بن بكار وشمس النهار |
| ٥ - معروف الإسكافى | ١١ - على الزئبق ودليلة المحتالة |
| ٦ - الأحذب والخياط | ١٢ - علاء الدين والمصباح العجيب |
| | ١٣ - على بابا |



دارالمعارف

قرش جنية
٢,٥٠